شرح الأربعين النووية

تأليف

محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

٦٣١ - ٦٧٦هـ

شرحه وأملاه فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

خرج أحاديثه

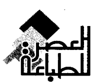
أ. أحمد أبو المجد

دار العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ



فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠

شرح الأربعين النووية
تأليف: محيي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف النووي
بشرح وتعليق الشيخ/محمد بن صالح العثيمين
ط٢ - الإسكندرية دار العقيدة، ٢٠٠٧
عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة
المقاس: ١٧ × ٢٤
رقم الإيداع: 7305 / 2000
الترقيم الدولي: X - 96 - 5458 - 977

دار العقيدة
طبع * نشر * توزيع



الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١
القاهرة: ٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤
E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، باعث الرسل -صلواته وسلامه عليهم- إلى المكلفين؛ لهدايتهم وبيان شرائع الدين، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين. أحمده على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد القهار، الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وأفضل المخلوقين، المكرَّم بالقرآن العزيز -المعجزة المستمرة على تعاقب السنين-، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين، المخصوص بجوامع الكَلِم وسماحة الدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين وآل كلٍّ وسائر الصالحين.

أما بعد: فقد رُوِّينا عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري ﷺ، من طرق كثيرات بروايات متنوعات: أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها؛ بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء».[1] وفي رواية: «بعثه الله فقيهاً عالماً»، وفي رواية أبي الدرداء: «وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً»، وفي رواية ابن مسعود: «قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت»، وفي رواية ابن عمر: «كتب في زمرة العلماء، وحُشر في زمرة الشهداء». واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه.

وقد صنف العلماء ﷺ في هذا الباب ما لا يحصى من المصنَّفات، فأول من علمته صنف فيه: عبد الله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسي العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسائي، وأبو بكر الآجري، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبد الرحمن

---

(١) لم يصح هذا الحديث مع كثرة طرقه وشهرته، قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» بعد أن جمع طرقه (١/ ١١٩): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ»، انظر «كشف الخفاء» للعجلوني (٢٤٦٥).

السلمي، وأبو سعيد المالينى، وأبو عثمان الصابونى، وعبد الله بن محمد الأنصارى، وأبو بكر البيهقى، وخلائق لا يُحصون من المتقدمين والمتأخرين.

واستخرت الله تعالى فى جمع أربعين حديثاً اقتداءً بهؤلاء الأئمة الأعلام، وحُفَّاظ الإسلام. وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال. ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث، بل على قوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة: **«ليبلغ الشاهد منكم الغائب»**(١) وقوله ﷺ: **«نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها فأدّاها كما سمعها»**.(٢)

ثم من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين، وبعضهم فى الفروع، وبعضهم فى الجهاد، وبعضهم فى الزهد، وبعضهم فى الآداب، وبعضهم فى الخطب، وكلها مقاصد صالحة -رضى الله عن قاصديها-، وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله. وهى أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك. ثم ألتزم فى هذه الأربعين أن تكون صحيحة، ومعظمها فى «صحيحى البخارى، ومسلم»، وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى، ثم أُتْبِعها بباب فى ضبط خَفِىّ ألفاظها.

وينبغى لكل راغب فى الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات، وذلك ظاهر لمن تدبره، وعلى الله اعتمادي، وإليه تفويضى واستنادي، وله الحمد والنعمة، وبه التوفيق والعصمة.

---

(١) قطعة من حديث أبى بكرة (سيأتى تخريجه).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود عن زيد بن ثابت (٣٦٦٠)، والترمذى (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، والدارمى (١/ ٦٥)، وصححه ابن حبان (٧٢، ٧٣) «الإحسان».

وفى الباب عن جبير بن مطعم: رواه ابن ماجه (٢٣١)، وأحمد (٤/ ٨٢-٨٠)، وعن ابن مسعود: رواه الترمذى (٢٦٥٧-٢٦٥٨)، وأبي سعيد الخدرى: رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ١٠٥)، وعن أنس بن مالك: رواه ابن ماجه (٢٣٦)، وعن معاذ: رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٩/ ٣٠٨).

الحديث الأول

عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّما الأعـمالُ بالنـيَّات، وإنما لكُلِّ امْـرئٍ مـا نَوَى، فمن كـانَتْ هجْـرَتهُ إلى الله ورسُوله، فَـهجْرَتُهُ إلى الله ورسُـوله، وَمن كانَتْ هجرتَهُ لدُنْيـا يُصيبُـها أوَ امرأة يَنْكحُـهاَ فَهجْرَتُهُ إلى مَا هاجَرَ إليه»**.(١)

رواه إماما المحدِّثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدزْبَه البخارى، وأبو الحسـين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشـيرى النيسابورى فى «صحيحيهما» اللذين هما أصح الكتب المصنَّفة.

دل الحديث على أن النية معـيار لتصحيح الأعمال، فـحيث صلحت النية صلح العمل، وحيث فسدت فسد العمل، وإذا وُجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال:

الأول: أن يفعل ذلك خوفًا من الله تعالى، وهذه عبادة العبيد.

الثاني: أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب، وهذه عبادة التجار.

الثالث: أن يفعل ذلك حـياءً من الله تعالى، وتأدية لحقِّ العـبودية، وتأدية للشكر، ويرى نفسه -مع ذلك- مقصِّـراً، ويكون مع ذلك قلبه خائفاً، لأنه لا يدرى هل قُبل عمله، مع ذلك أم لا؟ وهذه عبادة الأحـرار، وإليها أشار رسول الله ﷺ لما قالت

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث أصل عظيم فى أعمال القلوب، لأن النيـات من أعمال القلوب، قال العلمـاء: وهذا الحديث نصف العـبادات، لأنه مـيزان الأعمـال الباطنـة. وحديث عائشة رضي الله عنها: **«من أحدث فى أمـرنا هذا ما ليس منه؛ فـهو رد»**، وفى لفظ: **«من عمل عملاً ليس عليـه أمرنا؛ فهو رد»** نصف الدين، لأنه ميزان الأعمال الظاهرة فـيستفاد من قول النبى ﷺ: «إنما الأعمـال بالنيات» أنه مـا من عملٍ إلا وله نـية، لأن كل إنسان عاقل مختار لا يمكن أن يعمل عملاً بلا نية، حتى قال بعض العلماء: **«لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف ما لا يطاق»**، ويتفرع على هذه الفائدة:

(١) رواه البـخارى (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومـسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذى (١٦٤٧)، والنسائى (١/ ٥٨، ٦/ ١٥٨)، وابن ماجه (٤٢٢٧).

له عائشة رضي الله عنها حين قام من الليل حتى تورمت قدماه: يا رسول الله، أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**».(1)

فإن قيل: هل الأفضل العبادة مع الخوف، أو مع الرجاء؟

قيل: قال الغزالي -رحمه الله- العبادة مع الرجاء أفضل؛ لأن الرجاء يورث المحبة، والخوف يورث القنوط، وهذه الأقسام الثلاثة في حق المخلصين.

واعلم: أن الإخلاص قد تَعْرِض له آفة العُجْب، فمن أُعْجِب بعمله حبط عمله، وكذلك من استكبر حبط عمله.

والحال الثاني: أن يفعل ذلك لطلب الدنيا والآخرة جميعها، فذهب بعض أهل العلم إلى أن عمله مردود، واستدل بقوله ﷺ في الخبر الرباني «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمَنْ عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه**»(2)، وإلى

الرد على الموسوسين الذين يعملون الأعمال عدة مرات، ثم يقول لهم الشيطان: إنكم لم تنووا. فإننا نقول لهم: لا، لا يمكن أبداً أن تعملوا عملاً إلا بنية، فخففوا على أنفسكم، ودعوا هذه الوساوس.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان يؤجر أو يؤزر أو يحرم بحسب نيته، لقول النبي ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**».

ويستفاد من هذا الحديث أيضاً: أن الأعمال بحَسَب ما تكون وسيلة له، فقد يكون الشيءُ المباحِ في الأصل؛ طاعةً إذا نوى به الإنسانَ خيراً، مثل أن ينوى بالأكل والشرب التقوّي على طاعة الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**».

ومن فوائد هذا الحديث: أنه ينبغي للمعلم أن يضرب الأمثال التي يتبين بها الحكم، وقد ضرب النبي ﷺ لهذا مثلاً بالهجرة، وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وبيّن أن الهجرة -وهي عمل واحد- تكون لإنسان أجراً وتكون لإنسان حرماناً، فالمهاجر الذي يهاجر إلى الله ورسوله هذا يؤجر، ويصل إلى مراده. والمهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها يُحْرَم من هذا الأجر. وهذا الحديث يدخل في باب العبادات وفي باب المعاملات وفي باب الأنكحة وفي كل أبواب الفقه.

---

(1) رواه البخاري (٤٨٣٨)، ومسلم (٢٨٢٠)، وأحمد (١١٥/٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٩/٨)، والبيهقي في «السنن» (٣٩/٧)، وفي الباب عن أبي هريرة والمغيرة بن شعبة.

(2) رواه مسلم (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وأحمد (٣٠١/٢)، والطيالسي (٢٥٥٩) عن أبي هريرة.

هذا ذهب الحارث المحاسبى فى كتاب «الرعاية» فقال: الإخلاص أن تريده بطاعته، ولا تريد سواه. والرياء نوعان: أحدهما: ألا يريد بطاعته إلا الناس، والثانى: أن يريد الناس ورب الناس، وكلاهما محبط للعمل.

ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم فى «الحلية» عن بعض السلف، واستدل بعضهم على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر:٢٣)، فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك تكبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره، فهو تعالى أكبر، وكبير، ومتكبر.

وقال السمرقندى رحمه الله تعالى: ما فعله لله تعالى قُبِل، وما فعله من أجل الناس رُدَّ.

ومثال ذلك من صلى الظهر مثلاً وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه -ولكنه طوَّل أركانها وقراءتها وحسَّن هيئاتها من أجل الناس- فأصل الصلاة مقبول، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول، لأنه قصد به الناس.

وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عمن صلى فطوَّل صلاته من أجل الناس، فقال: أرجو ألا يحبط عمله. هذا كله إذا حصل التشريك فى صفة العمل، فإن حصل فى أصل العمل بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس -فلا تقبل صلاته، لأجل التشريك؛ فى أصل العمل.

وكما يكون الرياء فى العمل يكون فى ترك العمل.

قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. ومعنى كلامه رحمه الله تعالى: أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس فهو مراء، لأنه ترك العمل لأجل الناس، وأما لو تركها ليصليها فى الخلوة فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبة أو يكون عالماً يُقتدى به؛ فالجهر بالعبادة فى ذلك أفضل.

وكما أن الرياء مُحبط للعمل كذلك التَّسْمِيع، وهو أن يعمل لله فى الخلوة، ثم يُحدِّث الناس بما عمل. قال ﷺ: **«من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به»**[1]

---

(١) رواه البخارى (٦٤٩٩، ٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٧)، وابن ماجه (٤٢٠٧)، وأحمد (٤/٣١٣)، والحميدى (٧٧٨)، والبغوى (٤١٣٤) عن جندب بن عبد الله البجلى. وفى الباب عن ابن عباس: رواه مسلم (٢٩٨٦)، وعن أبى بكرة: رواه أحمد (٥/٤٥)، وعن أبى هند الدارى: رواه أحمد (٥/ ٢٧٠).

قال العلماء: فإن كان عالماً يُقتدى به وذكر ذلك تنشيطاً للسامعين ليعملوا به فلا بأس. قال المرزبانى رحمة الله تعالى عليه: يحتاج المصلى إلى أربع خصال حتى تُرفَع صلاته: حضور القلب، وشهود العقل، وخضوع الأركان، وخشوع الجوارح، فمن صلّى بلا حضور القلب، فهو مصلٍ لاه، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصلٍ ساه، ومن صلى بلا خضوع الأركان فهو مصلٍ جاف، ومن صلى بلا خشوع الجوارح فهو مصلٍ خاطئ، ومن صلى بهذه الأركان فهو مصلٍ واف.

قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» أراد بها أعمال الطاعات دون أعمال المباحات.

قال الحارث المحاسبى: الإخلاص لا يدخل فى مباح؛ لأنه لا يشتمل على قُربة ولا يؤدى إلى قربة، كرفع البنيان لا لغرض! بل لغرض الرعونة. أما إذا كان لغرض كالمساجد والقناطر والأربطة فيكون مستحباً. قال: ولا إخلاص فى محرم ولا مكروه، كمن ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه، ويزعم أنه ينظر إليه ليتفكر فى صنع الله تعالى، كالنظر إلى الأمرد. وهذا لا إخلاص فيه بل لا قُربة ألبتة، قال: فالصدق فى وصف العبد فى استواء السر والعلانية والظاهر والباطن. والصدق يتحقق بتحقق جميع المقامات والأحوال، حتى إن الإخلاص يفتقر إلى الصدق، والصدق لا يفتقر إلى شيء، لأن حقيقة الإخلاص هو إرادة الله تعالى بالطاعة، فقد يريد الله بالصلاة ولكنه غافل عن حضور القلب فيها، والصدق هو إرادة الله بالعبادة مع حضور القلب إليه، فكل صادق مخلص، وليس كل مخلص صادقاً، وهو معنى الاتصال والانفصال، لأنه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله، وهو معنى التخلى عما سوى الله، والتخلى بالحضور بين يدى الله سبحانه وتعالى.

قوله ﷺ: «**إنما الأعمال**» يحتمل إنما صحة الأعمال، أو تصحيح الأعمال، أو قبول الأعمال أو كمال الأعمال. وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى. ويستثنى من الأعمال ما كان من قبيل التروك كإزالة النجاسة ورد الغُصوب[1] والعوارى[2] وإيصال الهدية وغير ذلك، فلا تتوقف صحتها على النية المصححة، لكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب، ومن ذلك ما إذا أطعم دابته إن قصد بإطعامها امتثال أمر الله تعالى فإنه يثاب، وإن قصد بإطعامها حفظ المالية فلا

(١) جمع غصب، أى الشيء المغتصب، وهو ما أُخذ بالقوة دون وجه حق.
(٢) جمع عارية.

ثواب، ذكره القرافى. ويستثنى من ذلك فرس المجاهد إذا ربطها فى سبيل الله فإنها إذا شربت -وهو لا يريد سقيها- أثيب على ذلك، كما فى «صحيح البخارى»[1]، وكذلك الزوجة[2]، وكذلك إغلاق الباب وإطفاء المصباح عند النوم[3] إذا قصد به امتثال أمر الله أُثيب، وإن قصد به أمراً آخر فلا ثواب.

واعلم أن النية لغة: القصد، يقال: نواك الله بخير، أى قصدك به.

والنية شرعاً: قصد الشىء مقترناً بفعله. فإن قصد وتراخى عنه فهو عزم، وشُرعت النية لتمييز العادة من العبادة، أو لتمييز رتب العبادة بعضها ببعض.

مثال الأول: الجلوس فى المسجد، قد يُقصد للاستراحة فى العادة، وقد يُقصد للعبادة بنية الاعتكاف. فالمميز بين العبادة والعادة هو النية، وكذلك الغسل قد يقصد به تنظيف البدن فى العادة، وقد يقصد به العبادة فالمميز هو النية، وإلى هذا المعنى أشار النبى ﷺ حين سئل عن الرجل يقاتل رياء، ويقاتل حمية، ويقاتل شجاعة: أى ذلك فى سبيل الله تعالى؟ فقال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله تعالى»**.[4]

ومثال الثاني -وهو المميز رتب العبادة-: من صلى أربع ركعات، قد يقصد إيقاعها عن صلاة الظهر، وقد يقصد إيقاعها عن السنن، فالمميز هو النية، وكذلك العتق، قد يقصد به الكفارة وقد يقصد به غيرها، كالنذر ونحوه، فالمميز هو النية.

وفى قوله ﷺ: **«وإنما لكل امرئ ما نوى»**. دليل على أنه لا تجوز النيابة فى العبادات، ولا التوكيل فى نفس النية، وقد استثنى من ذلك تفرقة الزكاة وذبح الأضحية، فيجوز التوكيل فيهما فى النية والذبح والتفرقة مع القدرة على النية،

---

(١) رواه البخارى (٢٣٧١)(٢٨٦٠)(٣٦٤٦)(٤٩٦٢)(٤٩٦٣)(٧٣٥٦)، ومسلم (٩٨٧)، والنسائى (٦/ ٢١٦)، والبيهقى (٤/ ١١٩) (١٠/ ١٥) عن أبى هريرة ولفظه «... ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يُرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له...».

(٢) كما فى حديث أبى ذر مرفوعاً: «فى بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ فقال: «أرأيتم لو وضعها فى الحرام أكان عليه فيه وزر، فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر». رواه مسلم (٧٢٠-١٠٠٦)، وأبو داود (٥٢٤٣-٥٢٤٤)، وأحمد (٥/ ١٦٧-١٦٨)، وفى الباب عن أبى هريرة عند البخارى (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٣) كما جاء فى حديث جابر مرفوعاً: «أغلق الباب واذكر اسم الله عز وجل؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً. وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وخمر إناءك ولو بعود تعرضه عليه، واذكر اسم الله، وأوكِ سقاءك واذكر اسم الله عز وجل» رواه البخارى (٥٦٢٣-٥٦٢٤)، ومسلم (٢٠١٢)، وأبو داود (٣٧٣١)، والترمذى (١٨١٢-٢٨٥٧)، وابن ماجه (٣٤١٠).

(٤) رواه البخارى عن أبى موسى الأشعرى (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤)، وأبو داود (٢٥١٧)، والترمذى (١٦٤٦)، والنسائى (٦/ ٢٣)، وابن ماجه (٢٧٨٣)، وأحمد (٤/ ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٧).

وفى الحج لا يجـوز ذلك مع القدرة، ودفع الدَّين إذا كـان على جهـة واحدة لم يحتج إلى نية، وإن كان على جـهتين كمن عليه ألفان بأحـدهما رهن فأدى ألفاً وقال: جـعلته عن ألف الرهن؛ صُدِّق، فإن لم يـنوِ شيئاً حـالة الدفع نوى بعد ذلك وجعله عما شاء. وليس لنا نية تتأخر عن العملِ وتصلح إلا هنا.

وقوله ﷺ : «**فمن كـانت هجرته إلى الله ورسولـه فهجرتـه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» أصل المهاجرة المجافاة والترك. فاسم الهجرة يقع على أمور:

الأول: (هجرة الصحابة ﷺ من مكة إلى الحبـشة) حين آذى المشركون رسول الله ﷺ ففروا إلى النجاشى، وكانت هذه الهجرة بعد البعثة بخمس سنين. قاله البيهقى.[١]

الهجرة الثانية: (من مكة إلى المدينة) وكانت هذه بعد البعـثة بثلاث عشرة سنة، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأطلق جمـاعة أن الهجرة كـانت واجبة من مكة إلى المديـنة، وهذا ليس على إطلاقه، فإنه لا خصوصية للمدينة، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن العربى: قسم العلماء ﷺ الذهاب فى الأرض: هرباً، وطلباً. فالأول ينقسم إلى ستة أقسام:

(الأول) الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وهى باقية إلى يوم القيامة.

والتى انقطعت بالفتح فى قوله ﷺ : «**لا هجرة بعد الفتح**».[٢] هى القصد إلى رسول الله ﷺ حيث كان.

(الثاني) الخروج من أرضِ البدعة، قال ابن القـاسم: سمعت مالكاً يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسَب فيها السلف.

(الثالث) الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم.

(الرابع) الفرار من الأذية فى البدن، وذلك فضـل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خـشى على نفسه فى مكان فـقد أذن الله تعالى له فى الخـروج عنه والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحـذور، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام حين

---

(١) انظر «دلائل النبوة» للبيهقى (٢/ ٢٩٧).

(٢) رواه البـخارى عـن ابن عبـاس (١٨٣٤، ٢٧٨٣، ٢٨٢٥، ٣٠٧٧)، ومـسلم (١٣٥٣)، وأبو داود (٢٤٨٠)، والترمذى (١٥٩٠)، والنسائى (٧/ ١٤٦)، وفى الباب عن عـائشة: رواه البخارى (٣٠٨٠)، ومسلم (١٨٦٤)، وعن ابن عمر: رواه البخارى (٣٨٩٩).

خاف من قومه؛ فقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (العنكبوت: ٢٦)، وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: ٢١).

(الخامس) الخروج خوف المرض من البلاد الوخمة إلى أرض النزهة، وقد أذن ﷺ للعرنيين فى ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج.

(السادس) الخروج خوفاً من الأذية فى المال، فإن حُرمة مال المسلم كحرمة دمه.

وأما قسم الطلب فإنه ينقسم إلى: طلب دين، وطلب دنيا، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع:

(الأول) سفر العبرة: قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (محمد: ١٠) وقد طاف ذو القرنين فى الدنيا ليرى عجائبها، **(الثاني)** سفر الحج **(الثالث)** سفر الجهاد **(الرابع)** سفر المعاش، **(الخامس)** سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وهو جائز؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨) **(السادس)** طلب العلم، **(السابع)** قصد البقاع الشريفة، قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[١] **(الثامن)** قصد الثغور للرباط بها، **(التاسع)** زيارة الإخوان فى الله تعالى، قال ﷺ: «**زار رجل أخاً له في قرية، فأرسل الله ملكاً على مدرجته، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تؤديها؟ قال: لا، إلا أننى أحبه فى الله تعالى. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته**»[٢] رواه مسلم وغيره.

الثالث[٣]: هجرة القبائل إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا الشرائع، ويرجعوا إلى قومهم، فيعلموهم.

الرابعة: (هجرة من أسلم من أهل مكة) ليأتى النبى ﷺ ثم يرجع إلى قومه.

الخامسة: (الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام) فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر، قال الماوردى: فإن صار له بها أهل وعشيرة، وأمكنه إظهار دينه؛ لم يَجُز له أن يهاجر؛ لأن المكان الذى هو فيه صار دار إسلام.

السادسة: (هجرة المسلم أخاه فوق ثلاث بغير سبب شرعى) وهى مكروهة فى

---

(١) رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى (١١٩٧، ١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧، ٩٧٥)، والترمذى (٣٢٦)، وابن ماجه (١٤١٠)، وأحمد (٣/ ٧، ٣٤، ٥١، ٥٢، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٩٣)، وفى الباب عن أبى هريرة: رواه البخارى (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأبو داود (٢٠٣٣)، والنسائى (٢/ ٣٧)، وابن ماجه (١٤٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٩٢، ٢٩٢، ٤٠٨، ٤٦٢، ٤٨٢، ٥٠٨)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٣٥٠)، وصححه ابن حبان [(٥٧٢، ٥٧٦) الإحسان] عن أبى هريرة.

(٣) أي مما يقع عليه اسم الهجرة.

الثلاث، وفيما زاد حرام[1] إلا لضرورة. وحُكى أن رجلاً هجر أخاه ثلاثة أيام، فكتب إليه هذه الأبيات، فقال:

يا سيدي عندك لي مظلمهْ	*	فاستفتِ فيها ابن أبي خيثمهْ
فإنه يروي لنا عن جده ما قد	*	روى الضحاك عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى	*	نبينا المبعوث بالمرحمه
أن صدود الإلف عن إلفه	*	فوق ثلاث ربُّنا حرَّمَهْ

السابعة: (هجر الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها) قال تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ (النساء: ٣٤)، ومن ذلك هجرة أهل المعاصى فى المكان والكلام وجواب السلام وابتدائه.

الثامنة: (هجرة ما نهى الله عنه) وهى أعم الهجرة.

قوله ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**» أى نية وقصداً «**فهجرته إلى الله ورسوله**» حكماً وشرعاً، «**ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها**» إلخ. نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة، وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس، فسُمِّى «مهاجر أم قيس». فإن قيل: النكاح من مطلوبات الشرع فلمَ كان من مطلوبات الدنيا؟ قيل فى الجواب: إنه لم يخرج فى الظاهر لها، وإنما خرج فى الظاهر للهجرة، فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم، وقيس بذلك مَنْ خرج فى الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة، وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية.

قوله ﷺ: «**فهجرته إلى ما هاجر إليه**» يقتضى أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة، وينبغى حمل الحديث على ما إذا كان المحرك والباعث له على الحج إنما هو التجارة، فإن كان الباعث له الحج فله الثواب، والتجارة تبع له إلا أنه ناقص الأجر عمن أخرج نفسه للحج، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب، لأن هجرته لم تتمحض للدنيا، ويحتمل خلافه؛ لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: «لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»؛ رواه البخارى (٦٠٧٧، ٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذى (١٩٣٢)، وأحمد (٥/٤١٦، ٤٢١، ٤٢٢)، والطيالسى (٥٩٢)، وصححه ابن حبان [(٥٦٦٩، ٥٦٧٠) -الإحسان] عن أبى أيوب الأنصارى.

الحديث الثاني

عن عمر رضي الله عنه أيضاً قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلامُ أن تَشْهَدَ أن لاَ إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ، إن اسْتَطَعْتَ إليه سَبيلاً**» قال:

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث يستفاد منه فوائد:

منها: أن مِنْ هَدْي النبي ﷺ مجالسة أصحابه، وهذا الهَدْي يدل على حسن خلق النبي ﷺ، ومنها أنه ينبغي للإنسان أن يكون ذا عِشْرة مع الناس ومجالسة، وأن لا ينزوي عنهم.

ومن فوائد الحديث: أن الخلطة مع الناس أفضل من العزلة ما لم يخشَ الإنسان على دينه، فإن خشي على دينه فالعزلة أفضل، لقول النبي ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم، يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر**».

ومن فوائد هذا الحديث: أن الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- يمكن أن يظهروا للناس بأشكال البشر، لأن جبريل -عليه الصلاة والسلام- طلع على الصحابة على الوصف المذكور في الحديث: «رجل شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من الصحابة أحد».

ومن فوائد الحديث: حُسن أدب المتعلم أمام المعلم حيث جلس جبريل -عليه الصلاة والسلام- أمام النبي ﷺ هذه الجِلْسة الدالة على الأدب والإصغاء والاستعداد لما يلقى إليه، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه.

ومنها: جواز دعاء النبي ﷺ باسمه لقوله: «يا محمد»، وهذا يحتمل أنه قبل النهي -أي قبل نهي الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾- على أحد التفسيرين، ويحتمل أن هذا جرى على عادة الأعراب الذين يأتون إلى الرسول ﷺ فينادونه باسمه: يا محمد، وهذا أقرب، لأن الأول يحتاج إلى التاريخ.

صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ؟ قال: فأخْبِرنى عَنِ الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بالله وملائكتِه وكُتُبِه ورسُلِه واليَوْمِ الآخِر، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه**» قال: صدقتَ، قال: فأخبِرنى عن الإحسانِ، قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كأنَّكَ تَرَاهُ، فَإنْ لم تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يَرَاكَ**»، قال: صدقتَ. قال: فأخبِرنى عن الساعة، قال: «**ما المسْئُولُ عنها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قال: فأخبرنى عن أماراتها، قال: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، ثم انطلق فلبثَ مليًا، ثم قال لي: «**يا عُمَرُ أتدْرِى مَنِ السَّائلُ؟**» قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «**فَإنَّهُ جبريلُ أتاكمْ يُعَلِّمُكُمْ دينَكُمْ**»[1] رواه مسلم.

قوله ﷺ: «**أخبرنى عن الإيمان**» الإيمان فى اللغة هو مطلق التصديق، وفى الشرع عبارة عن تصديق خاص، وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات وهو الانقياد إلى عمل الظاهر. وقد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما فى الحديث، قال الله

ومن فوائد هذا الحديث: جواز سؤال الإنسان عما يعلم من أجل تعليم مَنْ لا يعلم، لأن جبريل كان يعلم الجواب، لقوله فى الحديث: «صدقت».

ولكن إذا قصد السائل أن يتعلم مَنْ حول المجيب؛ فإن ذلك يعتبر تعليماً لهم.

ومن فوائد هذا الحديث: أن المتسببَ له حكمُ المباشر إذا كانت المباشرة مبنية على السبب، لقول النبى ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» مع أن المعلم هو الرسول ﷺ، لكن لما كان جبريل هو السبب لسؤاله جعله الرسول ﷺ هو المعلم.

ومن فوائد هذا الحديث: بيان أن الإسلام له خمسة أركان، لأن النبى ﷺ أجاب بذلك، وقال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلاً**».

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لابد أن يشهد الإنسان شهادة بلسانه موقناً بها بقلبه: أن لا إله إلا الله، فمعنى (لا إله) أى لا معبود حق (إلا الله)، فتشهد بلسانك موقناً بقلبك أنه لا معبود من الخلق من الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو الشجر أو الحجر أو غير ذلك حق إلا الله، وأن ما عُبِد من دون الله فهو باطل؛ لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

---

(1) رواه مسلم (٢،٣،٤،٨)، وأبو داود (٤٦٩٥،٤٦٩٧)، والترمذى (٢٦١٠)، والنسائى (٤٩٩٠)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (١/٥٢).

تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ١٤)، وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون، وبقلوبهم ينكرون، فلما ادَّعوا الإيمان كذَّبهم الله فى دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب، وصدَّقهم فى دعوى الإسلام لتعاطيهم إياه، وقال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١) أى فى دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم؛ لأن ألسنتهم لم تواطئ قلوبهم. وشرط الشهادة بالرسالة أن يواطئ اللسانُ القلب، فلما كَذَبوا فى دعواهم بيَّن الله تعالى كَذِبهم. ولما كان الإيمان شرطاً فى صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: ٣٥) فهذا استثناء متصل لما بين الشرط والمشروط من الاتصال، ولهذا سمى

ومن فوائد هذا الحديث: أن هذا الدين لا يكمل إلا بشهادة أن محمداً رسول الله، وهو محمد بن عبد الله القرشى الهاشمى، ومَنْ أراد تمام العلم بهذا الرسول الكريم فليقرأ القرآن وما تيسر من السنة وكتب التاريخ.

ومن فوائد هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ جمع شهادة (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) فى ركن واحد، وذلك لأن العبادة لا تتم إلا بأمرين: الإخلاص لله وهو ما تضمنته شهادة أن لا إله إلا الله، والمتابعة لرسول الله ﷺ وهو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله، ولهذا جعلهما النبى ﷺ ركناً واحداً فى حديث ابن عمر حيث قال: «**بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة...**» وذكر تمام الحديث.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا يتم إسلام العبد حتى يقيم الصلاة، وإقامة الصلاة أن يأتى بها مستقيمة حسب ما جاءت به الشريعة، ولها - أى لإقامة الصلاة- إقامة واجبة وإقامة كاملة، فالواجبة أن يقتصر على أقل ما يجب فيها.

والكاملة أن يأتى بمكملاتها على حسب ما هو معروف فى الكتاب والسنة وأقوال العلماء.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا يتم الإسلام إلا بإيتاء الزكاة. والزكاة هى المال المفروض من الأموال الزكوية، وإيتاؤها إعطاؤها مَنْ يستحقها، وقد بيَّن الله ذلك فى سورة التوبة فى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

الله تعالى الصلاة إيماناً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى: ٥٢) أى الصلاة.

قوله ﷺ: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» بفتح الدال وسكونها لغتان، ومذهب أهل الحق إثبات القدر. ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى قدَّر الأشياء فى القدم، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وفى أمكنة معلومة، وهى تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى.

واعلم أن التقادير أربعة: الأول: التقدير فى العلم، ولهذا قيل: العناية قبل الولاية، والسعادة قبل الولادة، واللواحق مبنية على السوابق. قال الله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (الذاريات: ٩) أى: يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به فى الدنيا من صُرِف عنه فى القدم، قال رسول الله ﷺ: «**لا يهلك على الله إلا هالك**»[1] أى من كُتب فى علم الله تعالى أنه هالك.

وأما صوم رمضان فهو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ورمضان هو الشهر الذى بين شعبان وشوال.

وأما حج البيت فهو القصد إلى مكة لأداء المناسك، وقُيِّد بالاستطاعة؛ لأن الغالب فيه المشقة، وإلا فجميع الواجبات يُشترط لوجوبها الاستطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

ومن القواعد المقررة عند العلماء: «أنه لا واجب مع عجز، ولا محرَّم مع الضرورة».

ومن فوائد هذا الحديث: وصف الرسول الملكى للرسول البشرى محمد ﷺ بالصدق، ولقد صدق جبريل في وصفه بالصدق، فإن النبى ﷺ أصدق الخلق.

ومن فوائد الحديث: ذكاء الصحابة حيث تعجبوا كيف يصدق السائل من سأله، والأصل أن السائل جاهل، والجاهل لا يُمكِن أن يحكم على الكلام بالصدق أو بالكذب، لكن هذا العجب زال حين قال النبى ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإيمان يتضمن ستة أمور: وهى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر: خيره، وشره.

---

(١) قطعة من حديث رواه البخارى (٦١٢٦)، ومسلم (١٣١)، وأحمد (١/ ٢٧٩)، عن ابن عباس، وزيادة «ولا يهلك على الله إلا هالك» لم يروها البخارى.

الثاني: التقدير في اللوح المحفوظ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً».

الثالث: التقدير في الرحم، وذلك أن الملك يؤمر بكَتْب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.[1]

الرابع: التقدير وهو سوق المقادير إلى المواقيت، والله تعالى خلق الخير والشر، وقدَّر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومة، والدليل على أن الله تعالى خلق الخير

ومن فوائد الحديث: التفريق بين الإسلام والإيمان، وهذا عند ذكرهما جميعاً، فإنه يفسر الإسلام بأعمال الجوارح والإيمان بأعمال القلوب، ولكن عند الإطلاق يكون كل واحد منهما شاملاً للآخر، فقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا﴾ يشمل الإسلام والإيمان. وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وما أشبهها من الآيات يشمل الإيمان والإسلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ يشمل الإسلام والإيمان.

أما إذا ذُكرا جميعاً فيُفسَّر كل واحد منهما بما دل عليه هذا الحديث.

ومن فوائد هذا الحديث العظيم: أن الإيمان بالله أهم أركان الإيمان وأعظمها، ولهذا قدمه النبي ﷺ فقال: **«أن تؤمن بالله»**. والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ليس هو الإيمان بمجرد وجوده، بل لابد أن يتضمن الإيمان هذه الأمور الأربعة: الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

ومن فوائد هذا الحديث العظيم: إثبات الملائكة: والملائكة عالم غيبي، وصفهم الله تعالى بأوصاف كثيرة في القرآن، ووصفهم النبي ﷺ في السُّنة. وكيفية الإيمان بهم: أن نؤمن بأسماء من عُينت أسماؤهم منهم ومن لم تُعيَّن أسماؤهم فإننا نؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن كذلك بما ورد من أعمالهم التي يقومون بها ما علمنا منها، ونؤمن كذلك بأوصافهم التي وصفوا بها ما علمنا منها، ومن ذلك: أن النبي ﷺ رأى جبريل -عليه الصلاة والسلام- وله ستمائة جناح قد سد الأفق على خلقته التي خُلق عليها.

---

(١) كما في حديث عبد الله بن مسعود: رواه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦).

والشر قـوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ (القمر:٤٧) إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ ونزلت هذه الآية فى القدرية[١]، يقال لهم ذلك فى جـهنم، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق:١-٢)، وهذا القسم إذا حصـل فيه اللطف بالعبـد صُرِف عنه قبل أن يصل إلـيه. وفى الحديث: «إن الصـدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء، وتقلبه سعادة»[٢] وفى الحديث: «إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان، ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل».[٣]

وزعمت القدرية أن الله تعالى لم يقدر الأشيـاء فى القدم، ولا سبق علمه بها، وأنها مستأنفة، وأنه تعالى إنما يعلمها بعد وقـوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى -جل عن

وواجبنا نحو الملائكة أن نصدق بهم، وأن نحبهم؛ لأنهم عـباد الله قائمون بأمره، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ⑲ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾.

ومن فوائد هـذا الحديث: وجوب الإيمـان بالكتب التى أنزلها الله عـز وجل على رسله -عليهم الصلاة والسلام-، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾.

فنؤمن بكل كتاب أنزله الله على رسله، لكن نؤمن إجمالاً ونـصدق بأنه حق. أما تفصيلاً فإن الكتب السابقة جرى عليها التحريف والتبديل والتغيير، فلا يُمْكن للإنسان أن يميز الحق منها من الباطل. وعلى هذا فنقول: نؤمن بما أنزل الله من الكتب على سبيل الإجمال. أما التفصيل فـإننا نخشى أن يكون مما حُرِّف وبدِّل وغيِّر. هذا بالنسبة لـلإيمان بالكتب. أما العمل بها؛ فالعمل إنما هو بما نزل على محمد ﷺ فقط، أما ما سواه فقد نُسخ بهذه الشريعة.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب الإيمان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فنؤمن بأن كل رسول أرسله الله فهـو حق، أتى بالحق، صادق فيمـا أخبر، صادق فيـما أمر به، نؤمن بهم إجمالاً فيمن لم نعرفه بعينه، وتفصيلاً فيمن عرفناه بعينه.

---

(١) كما جاء فى حديث أبي هريرة قال: جاء مـشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ فى القدر، فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. رواه مسلم (كتاب القدر- باب كل شيء بقدر). الترمذى (٢١٥٧)، وابن ماجه (٨٣)، وعبد الله بن أحمد فى «السنة» (٧٥٤، ٧٥٥).

(٢) **ضعيف**: رواه أبو نعيم (٦/ ١٤٥) عن على بلفظ قـريب، وقال: غريب، وضعفـه الألبانى. انظر «الإرواء» (٨٨٥) و«الضعيفة» (٦٦٥).

(٣) **حسن**: رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٢٤٩٨)، والحاكم (١/ ٤٩٢)، وصححه، ووافقه الذهبى، ولفظه: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وإن البـلاء...» عن عائشة، وحسنه الألبانى في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩).

أقوالهم الكاذبة وتعالى علواً كبيراً-، وهؤلاء انقرضوا، وصارت القدرية فى الأزمان المتأخرة يقولون: الخير من الله والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة**»[1] سمَّاهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس. وزعمت الثنوية أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية. وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، وهو تعالى خالق الخير والشر.

قال إمام الحرمين فى كتاب «الإرشاد»: إن بعض القدرية قال: لسنا بقدرية، بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر. ورد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم، ومن يدعى الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ فمن قصَّ علينا وعرفناه آمنا به بعينه، ومن لم يقص علينا ولم نعرفه نؤمن به إجمالاً، والرسل -عليهم الصلاة والسلام- أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ، ومنهم الخمسة أولو العزم الذين جمعهم الله فى آيتين من كتابه، فقال -تبارك وتعالى- فى سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية، وقال تعالى فى سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الآية.

ومن فوائد هذا الحديث: الإيمان باليوم الآخر، واليوم الآخر هو يوم القيامة، وسمِّى آخرًا لأنه آخر المطاف للبشر، فإن للبشر أربع دور:

الدار الأولى: بطن أمه. والدار الثانية: هذه الدنيا. والدار الثالثة: البرزخ. والدار الرابعة: اليوم الآخر. ولا دار بعده فإما إلى جنة وإما إلى نار.

والإيمان باليوم الآخر يدخل فيه -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-: «كل ما أخبر به النبى ﷺ مما يكون بعد الموت، فيدخل فى ذلك ما يكون فى القبر من سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه وما يكون فى القبر من نعيم أو عذاب».

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وذلك بأن تؤمن بأمور أربعة:

الأول: أن تؤمن أن الله محيط بكل شىء علماً جملة وتفصيلاً، أزلاً، وأبداً.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٦٩١)، وأحمد (٢/ ٨٦، ١٢٥)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٣٣٨، ٣٣٩)، والآجرى فى «الشريعة» ص(١٩٠)، والطبرانى فى «الأوسط» (٢٥١٥)، والهيثمى فى «المجمع» (٧/ ٢٠٥)، وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره، وضعفه جماعة، وكذلك رواه الحاكم (١/ ٨٥)، والحديث حسنه الألبانى فى «المشكاة» (١٠٧).

قوله ﷺ: **«فأخبرني عن الإحسان، قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»**. وهذا مقام المشاهدة، لأن من قدر أن يشاهد الملك استحيا أن يلتفت إلى غيره في الصلاة، وأن يشغل قلبه بغيره، ومقام الإحسان مقام الصديقين، وقد تقدم في الحديث الأول الإشارة إلى ذلك.

قوله ﷺ: **«فإنه يراك»** غافلاً إن غفلت في الصلاة وحدثت النفس فيها.

قوله ﷺ: **«فأخبرني عن الساعة، فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل»** هذا الجواب يدل على أنه ﷺ كان لا يعلم متى الساعة، بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان:٣٤)، وقال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ (الأعراف:١٨٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب:٦٣)، ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة، وأنه بقي منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل؛ حكاه الطوخي في «أسباب التنزيل» عن بعض المنجمين وأهل الحساب، ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوف على الغيب ولا يحل اعتقاده.

الثاني: أن تؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى قيام الساعة.

الثالث: أن تؤمن بأن كل ما يَحْدُث في الكون فإنه بمشيئة الله عز وجل، لا يخرج شيء عن مشيئته.

الرابع: أن تؤمن بأن الله خلق كل شيء، فكل شيء مخلوق لله عز وجل، سواء كان من فعله الذي يختص به كإنزال المطر وإخراج النبات، أو من فعل العبد وفعل المخلوقات، فإن فعل المخلوقات من خَلْق الله عز وجل، لأن فعل المخلوق ناشئ عن إرادة وقدرة، والإرادة والقدرة من صفات العبد. والعبد وصفاته مخلوقة لله عز وجل، فكل ما في الكون فهو من خَلْق الله تعالى.

ولقد قدَّر الله عز وجل ما يكون إلى يوم القيامة قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فما قدر على الإنسان لم يكن ليُخْطئه، وما لم يقدر لم يكن ليُصيبه. هذه أركان الإيمان الستة بيَّنها رسول الله ﷺ، ولا يتم الإيمان إلا بالإيمان بها جميعاً. نسأل الله أن يجعلنا جميعاً من المؤمنين بها.

ومن فوائد هذا الحديث: بيان الإحسان وهو أن يعبد الإنسان ربه عبادة رغبة وطلب، كأنه يراه، فيحب أن يصل إليه، وهذه الدرجة من الإحسان هي الأكمل، فإن لم يصل إلى هذه الحال فإلى الدرجة الثانية: أن يعبد الله عبادة خوف وهرب من عذابه، ولذلك قال النبي ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أي: فإنْ لم تعبده كأنك تراه فإنه يراك.

قوله ﷺ: «**فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها**» الأمار والأمارة -بإثبات التاء وحذفها- لغتان، ورُوِي ربها وربتها، قال الأكثرون: هذا إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده. وقيل: معناه الإماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته. ويحتمل أن يكون المعنى أن الشخص يستولد الجارية ولداً ويبيعها فيكبر الولد ويشترى أمه، وهذا من أشراط الساعة.

قوله ﷺ: «**وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» إذ العالة هم الفقراء، والعائل الفقير، والعيلة الفقر، وعال الرجل يعيل عيلة أى افتقر، والرعاء بكسر الراء وبالمد، ويقال فيه رُعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد، ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يَتَرقَّون في البنيان وتُبسط لهم الدنيا حتى يتباهوا فى البنيان.

قوله: «فلبث ملياً» هو بفتح الثاء على أنه للغائب، وقيل: «فلبثت» بزيادة تاء المتكلم، وكلاهما صحيح، وملياً بتشديد الياء معناه وقتاً طويلاً، وفى رواية أبى داود والترمذى أنه قال: «بعد ثلاثة أيام» وفى شرح التنبيه للبغوى أنه قال: «بعد ثلاث فأكثر»، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال، وفى ظاهر هذا مخالفة لقول أبى هريرة فى حديثه: «ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: **ردوا علىَّ الرجل**، فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً، فقال ﷺ: **هذا جبريل**»[1] فيمكن الجمع بينهما بأن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبى ﷺ لهم فى الحال، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبى ﷺ الحاضرين فى الحال، وأخبر عمر بعد ثلاث، إذ لم يكن حاضراً عند إخبار الباقين. وقوله ﷺ: «**هذا جبريل، أتاكم يعلمكم أمر دينكم**» فيه دليل على أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً.

ومن فوائد هذا الحديث العظيم: أن علم الساعة مكتوم، لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمَنْ ادعى علمه فهو كاذب، وهذا كان خافياً على أفضل الرسل من الملائكة وأفضل الرسل من البشر محمد وجبريل عليهم الصلاة والسلام. **ومن فوائد هذا الحديث**: أن للساعة أشراطاً، أى علامات، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أى علاماتها، وقسم العلماء علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام:

قسم مضى، وقسم لا يزال يتجدد، وقسم لا يأتى إلا قرب قيام الساعة تماماً، وهى الأشراط الكبيرة العظمى؛ كنزول عيسى ابن مريم عليه السلام، والدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

---

(١) رواه البخارى (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠)، والنسائى (٨/ ١٠١)، وابن ماجه (٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٢٦).

وفى الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب، وعلى ترك الخوض فى الأمور، وعلى وجوب الرضا بالقضاء.

دخل رجل على ابن حنبل ﷺ فقال: عظنى. فقال له: إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا؟ وإن كان الخلف[1] على الله حقاً فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقاً فالأنس لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا؟

(فائدة): ذكر صاحب «مقامات العلماء» أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسماً: خمسة بالقضاء والقدر، وخمسة بالاجتهاد، وخمسة بالعادة، وخمسة بالجوهر، وخمسة بالوراثة، فأما الخمسة التى فيها بالقضاء والقدر: فالرزق، والولد، والدهر، والسلطان، والعمر. والخمسة التى بالاجتهاد: فالجنة، والنار، والعفة، والفروسية، والكتابة. والخمسة التى بالعادة: فالأكل، والنوم، والمشى، والنكاح، والتغوط. والخمسة التى بالجوهر: فالزهد، والذكاء، والبذل، والجمال، والهيبة. والخمسة التى بالوراثة: فالخير، والتواصل، والسخاء، والصدق، والأمانة، وهذا كله لا ينافى قوله ﷺ: **«كل شيء بقضاء وقدر»**[2] وإنما معناه أن بعض هذه الأشياء يكون مرتباً على سبب، وبعضها يكون بغير سبب، والجميع بقضاء وقدر.

وقد ذكر النبى ﷺ أن أماراتها أن تلد الأمة ربتها، يعنى أن تكون المرأة أَمَة فتلد امرأة فتكون هذه المرأة غنية تملك مثل أمها، وهو كناية عن سرعة كثرة المال وانتشاره بين الناس، ويؤيد ذلك المثل الذى بعده: **«وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان»**.

ومن فوائد هذا الحديث: حسن تعليم النبى ﷺ حيث استفهم الصحابة هل يعلمون مَنْ هذا السائل أم لا؟ من أجل أن يعلمهم به، وهذا أبلغ مما لو علمهم ابتداء، لأنه إذا سألهم ثم علمهم كان ذلك أدعى لوعى ما يقول وثبوته.

ومن فوائد هذا الحديث العظيم: أن السائل عن العلم يعتبر معلِّماً، وسبقت الإشارة إلى هذا، لكن أريد أن أبيِّن أنه ينبغى للإنسان أن يسأل عما يحتاجه الناس ولو كان عالماً به، من أجل أن ينال أجر التعليم. والله الموفِّق.

---

(١) أي: أن يُخلف رزقًا بعد رزق.

(٢) رواه البخارى (٩٥)، ومسلم (٢٦٥٥)، وأحمد (٢/ ١١٠)، وصححه ابن حبان (٦١٤٩) «الإحسان».

الحديث الثالث

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بُنيَ الإسلامُ على خمس: شهادة أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحَجِّ البيت، وصَوْم رمضانَ»**.[1] رواه البخارى ومسلم.

قولُه ﷺ: **«بنيَ الإسلام على خمس»** أى فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه، وهى خمس. وهذا بناء معنوى شُبِّه بالحسى، ووجه التشبيه أن البناء الحسى إذا انهدم بعض أركانه لم يتم. فكذلك البناء المعنوى، ولهذا قال ﷺ: «الصلاة عماد الدين، فمن تركها فقد هدم الدين»[2] وكذلك يقاس البقية، ومما قيل فى البناء المعنوى:

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث بيَّن فيه النبى ﷺ أن الإسلام بمنزلة البناء الذى يظلل صاحبه، ويحميه من الداخل ومن الخارج، وبيَّن النبى ﷺ أنه بُنى على خمس: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت) وقد تقدم الكلام على كل هذه الأركان الخمسة فى حديث عمر بن الخطاب الذى قبل هذا، فليرجع إليه.

سؤال: ما فائدة إيراد هذا الحديث مرة أخرى، مع أنه ذُكر فى سياق حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؟

الجواب: الفائدة أنه لأهمية هذا الموضوع أراد أن يؤكده مرة ثانية؛ هذا من جهة. ومن جهة أخرى: أن فى حديث عبد الله بن عمر التصريح بأن الإسلام بُنى على هذه الأركان الخمسة، أما حديث عمر بن الخطاب فليس بهذه الصيغة، وإن كان ظاهره يفيد ذلك؛ لأنه قال: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .....»** إلخ.

---

(١) رواه البخارى(٨)، ومسلم (١٦، ٢٢)، والترمذى (٢٦٠٩)، والنسائى (٨/ ١٠٨)، وأحمد (٢/ ٢٦، ٩٣، ١٢٠)، وابن منده فى «الإيمان» (٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠). وصححه ابن خزيمة (٣٠٨، ٣٠٩).

(٢) **ضعيف** : قال الحافظ العراقى فى «تخريجه لإحياء علوم الدين»: (رواه البيهقى فى «الشعب» بسند ضعيف من حديث عمر). وكذا قال السخاوى فى «المقاصد الحسنة» (٦٣٢) وأورده الشوكانى فى «الفوائد المجموعة»، وقال: ضعفه الفيروزآبادي فى «المختصر»، وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٣٥٦٦) عن عمر، وفى الباب عن معاذ: رواه هناد فى «الزهد» (١٠٩٠)، ومحمد بن نصر فى «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٧، ١٩٨)، والحاكم (٢/ ٤١٢، ٤١٣) وصححه بلفظ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله». وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٣٠٧٧). وعن بلال بن يحيى مرسلاً: أورده السيوطى فى «الجامع الصغير»، وعزاه للفضل بن دكين، وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٣٠٧٦)، ولفظه: «الصلاة عمود الدين».

بنا الأمور بأهل الدين ما صلحوا * وإن تولوا فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمد * ولا عماد إذا لم تُرْسَ أوتاد

وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ (التوبة:١٠٩) الآية. وشبه بناء المؤمن بالذى وضع بنيانه على وسط طود، أى: جبل راسخ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هار لا ثبات له، فأكلها البحر فانهار الجرف فانهار بنيانه، فوقع به البحر فغرق فدخل جهنم.

قوله ﷺ: «**بنى الإسلام على خمس**» أى بخمس، على أن تكون «على» بمعنى الباء، وإلا فالمبنى غير المبنى عليه، فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام فهو فاسد.

ويحتمل أن تكون «على» بمعنى «مِنْ» كقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ (المعارج: ٣٠) أى من أزواجهم، والخمسة المذكورة فى الحديث أصول البناء، وأما التتمات والمكملات – كبقية الواجبات وسائر المستحبات- فهو زينة للبناء، وقد ورد فى الحديث أنه ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، -قال:- وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1] .

قوله ﷺ: «**وحج البيت وصوم رمضان**» هذا جاء فى هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم، وهذا من باب الترتيب فى الذكر دون الحكم، لأن صوم رمضان وجب قبل الحج، وقد جاء فى الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج.

---

(١) رواه البخارى (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والنسائى (٨/ ١١٠)، والترمذى (٢٦١٤)، وابن ماجه (٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٩/ ٤١٤)، والطيالسى (٢٤٠٢).

الحديث الرابع

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فى بطنِ أُمِّه أربعينَ يوماً نُطْفَةً، ثمَّ يكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثمَّ يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلكَ، ثمَّ يُرسَلُ إليه الملكُ فَينفُخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤْمَرُ بأربعِ كلمات: بكَتْبِ رزقه، وأجَلِه، وعَمَلِه، وشقيٌّ أو سعيدٌ. فوالله الذى لا إلهَ غيرهُ إنَّ أَحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعملِ أَهلِ الجنةَ حتى ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعمل أهلِ النار فَيَدْخُلُها. وإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّار حتى ما يَكُون بَيْنَهُ وبَيْنَها إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُها**»[١] رواه البخارى ومسلم.

تعليق الشيخ العثيمين:

هٰذا الحديث الرابع من الأحاديث النووية، وفيه بيان تطور خلق الإنسان فى بطن أمه وكتابة أجله ورزقه وغير ذلك.

فيقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق**» الصادق فى قيله، المصدوق فيما أوحى إليه. وإنما قدم عبد الله بن مسعود هذه المقدمة؛ لأن هذا من أمور الغيب التى لا تُعلم إلا بوحى؛ فقال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا...**» إلخ.

ففى هذا الحديث من الفوائد: بيان تطور خلقة الإنسان فى بطن أمه، وأنه أربعة أطوار، الأول: طور النطفة أربعون يوماً، والثانى: طور العلقة أربعون يوماً، والثالث: طور المضغة أربعون يوماً، والرابع: الطور الأخير بعد نفخ الروح فيه، فالجنين يتطور فى بطن أمه إلى هذه الأطوار.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الجنين قبل أربعة أشهر لا يحكم بأنه إنسان حى، وبناء على ذلك لو سقط قبل تمام أربعة أشهر فإنه لا يغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّى عليه، لأنه لم يكن إنساناً بعد.

---

(١) رواه البخارى (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذى (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦)، وأحمد (١/ ٣٨٢، ٤٣٠، ٤١٤)، والآجرى فى «الشريعة» ص (١٨٢).

قوله: «وهو الصادق المصدوق» أى شـهد الله له بأنه صادق، والمصدوق بمعنى المصدَّق فيه.

قوله ﷺ: **«يجمع خلقه فى بطن أمه»** يحتمل أن يراد أنه يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهمـا الولد، كما قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق:٦) الآية، ويحتمل أن المراد أنه يجمع من البـدن كله، وذلك أنه قيل: إن النطفة فى الطور الأول تسرى فى جسـد المرأة أربعين يوماً وهى أيام التوحمـة، ثم بعد ذلك تجمع ويذر عليها من تربة المولود فتصير علقـة، ثم يستمر فى الطور الثانى، فتأخذ فى الكبر حتى تصيـر مضغة، وسميت مضغة لأنهـا بقدر اللقمة التى تمضغ. ثم فى الطور الثالث يصـوِّر الله تلك المضغة ويشق فـيها السمع والبـصر والشم والفم،

ومن فوائد هـذا الحديث: أنه بعد أربعـة أشهـر تنفخ فيه الروح، ويثـبت له حكم الإنسان الحى، فلو سقط بعد ذلك فإنه يغسَّل ويكفَّن ويصلَّى عليه، كما لو كان ذلك بعد تمام تسعة أشهر.

ومن فوائد هذا الحديث: أن للأرحام ملكاً موكَّـلاً بها؛ لقوله: **«فيبـعث إليه الملك»** أى الملك الموكل بالأرحام.

ومن فوائد هذا الحديث: أن أحوال الإنسان تكتب عليه وهو فى بطن أمه: رزقه.. عمله.. أجله.. شقى أو سعيد، **ومنها:** بيان حكمة الله عز وجل وأن كل شىء عنده بأجل مقدَّر، وبكتاب لا يتقدم ولا يتأخر.

ومن فـوائد هـذا الحـديث: أن الإنسـان يجب أن يكون على خـوف ورهبـة، لأن الرسول ﷺ أخبر: **«أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها»**.

ومن فوائد هـذا الحديث: أنه لا ينبـغى لإنسان أن يقطع الرجـاء، فإن الإنســان قد يعمل بالمعاصى دهراً طويلاً، ثم يَمُنُّ الله عليه بالهداية فيهتدى فى آخر عمره.

فإن قال قائل: ما الحكمة فى أن الله يخذِّل هذا الذى يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؟

ويصور فى داخل جوفها الحوايا والأمعاء، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٦) الآية، ثم إذا تم الطور الثالث -وهو أربعون-، وصار للمولود أربعة أشهر نُفخت فيه الروح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (الحج: ٥) يعنى أباكم آدم، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعنى ذريته، والنطفة المنى، وأصلها الماء القليل، وجمعها نطاف، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهو الدم الغليظ المتجمد، وتلك النطفة تصير دماً غليظاً، ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهى لحمة، ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، قال ابن عباس: مخلقة أى تامة، وغير مخلقة أى غير تامة بل ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مصوَّرة وغير مصوَّرة، يعنى السِّقْط، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال: أى رب، مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال غير مخلقة، قذفها فى الرحم دماً ولم تكن نسمة، وإن قال: مخلقة، قال الملك: أى رب، أذكر أم أنثى، أشقى أم سعيد؟ ما الرزق؟ وما الأجل؟ وبأى أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب، فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها، فلا تزال معه حتى يأتى آخر صفته. ولهذا قيل: (السعادة قبل الولادة).

قوله ﷺ: **«فيسبق عليه الكتاب»** أى الذى سبق فى العلم، أو الذى سبق فى اللوح المحفوظ، أو الذى سبق فى بطن الأم، وقد تقدَّم أن المقادير أربعة.

قوله ﷺ: **«حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع»** هو تمثيل وتقريب، والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره، وليس المراد حقيقة الذراع وتحديده من الزمان، فإن الكافر إذا قال: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» ثم مات دخل الجنة. والمسلم

فالجواب: أن الحكمة فى ذلك هو أن هذا الذى يعمل بعمل أهل الجنة: إنما يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإلا فهو فى الحقيقة ذو طوية خبيثة ونية فاسدة، فتغلب هذه النية الفاسدة حتى يُختم له بسوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك. وعلى هذا فيكون المرادُ بقوله: **«حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع»** قُرْبَ أجله، لا قُرْبَه من الجنة بعمله.

إذا تكلم آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار. وفي الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار، وإن عمل سائر أنواع البر، أو عمل سائر أنواع الفسق، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله، ولا يعجب به؛ لأنه لا يدرى ما الخاتمة، وينبغي لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسنَ الخاتمة، ويستعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العاقبة.

فإنْ قيل: قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾** (الكهف: ٣٠) ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يُقبل، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أُمِنَ مع ذلك من سوء الخاتمة، فالجواب من وجهين:

أحدهما- أن يكون ذلك معلقاً على شروط القبول وحسن الخاتمة.

٢- ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائماً إلا بخير، وأن خاتمة السوء إنما تكون فى حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة. ويدل عليه الحديث الآخر: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**»[1] أى فيما يظهر لهم من صلاح ظاهره مع فساد سريرته وخبثها، والله تعالى أعلم.

وفى الحديث دليل على استحباب الحلف لتأكيد الأمر فى النفوس، وقد أقسم الله تعالى: **﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾** (الذاريات: ٢٣)، وقال تعالى: **﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾** (التغابن: ٧)، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخارى (٢٨٩٨، ٤٢٠٢، ٤٢٠٧، ٦٤٩٣، ٦٦٠٧)، ومسلم (١١٢)، وأحمد (٥/ ٣٣٢)، والبغوى (٨٠)، عن سهل بن سعد الساعدي.

الحديث الخامس

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ أحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منهُ فهو رَدٌّ**»[(١)] رواه البخارى ومسلم. وفى رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**».

قوله ﷺ : «**من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» أى مردود. فيه دليل على أن العبادات -من الغسل والوضوء والصوم والصلاة- إذا فُعلت على خلاف الشرع تكون مردودة على فاعلها، وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يُملك.

وقال ﷺ للذى قال له: إن ابنى كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته. وإنى أُخبرت أن على ابنى الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة. فقال ﷺ : «**الوليدة والغنم رَدٌّ عليك**».[(٢)] وفيه دليل على أن من ابتدع فى الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه، وعمله مردود عليه، وأنه يستحق الوعيد، وقد قال ﷺ : «**من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله**».[(٣)]

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث قال العلماء: إنه ميزان ظاهر الأعمال، وحديث عمر الذى فى أول هذا الكتاب: «**إنما الأعمال بالنيات**» ميزان باطن الأعمال، لأن العمل له نية وله صورة، فالصورة هى ظاهر العمل والنية باطن العمل.

وفي هذا الحديث فوائد: الأول: أن من أحدث فى هذا الأمر -أى الإسلام- ما ليس منه فهو مردود عليه، ولو كان حَسَن النية. وينبنى على هذه الفائدة: أن جميع البدع مردودة على صاحبها، ولو حَسُنت نيته.

ومن فوائد هذا الحديث: أن من عمل عملاً ولو كان أصله مشروعًا، ولكن عمله على غير ذلك الوجه الذى أُمر به؛ فإنه يكون مردوداً، بناء على الرواية الثانية فى «مسلم».

وعلى هذا فمن باع بيعاً محرماً فبيعه باطل، ومن صلى صلاة تطوع لغير سبب فى وقت النهى فصلاته باطلة، ومن صام يوم العيد فصومه باطل ... وهلم جرًا، لأن هذه كلها ليس عليها أمر الله ورسوله فتكون باطلة مردودة.

---

(١) رواه البخارى (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وأحمد (٦/ ٧٣، ٢٤٠، ٢٧٠)، والطيالسى (١٤٢٢)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٥٢، ٥٣)، والبيهقى (١٠/ ١١٩).

(٢) رواه البخارى (٢٦٩٥، ٢٦٩٦، ٢٧٢٤، ٢٣١٤، ٦٦٣٣، ٦٨٤٢، ٦٨٥٩، ٧١٩٣، ٧٢٥٨)، ومسلم (١٦٩٧)، وأبو داود (٤٤٤٥)، والترمذى (١٤٣٣)، والنسائى (٨/ ٢٤٠)، وابن ماجه (٢٥٤٩)، وأحمد (٤/ ١١٥) عن أبى هريرة وزيد بن خالد.

(٣) رواه البخارى (٣١٧٩) (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠)، وأبو داود (٤٥٣٠، ٢٠٣٤)، والترمذى (٢١٢٧)، والنسائى (٨/ ١٩)، وأحمد (١/ ٨١، ١١٩، ١٢٢، ١٢٦، ١٥١).

الحديث السادس

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإن الحَرامَ بيِّنٌ، وبينَهُمَا أُمورٌ مُشتَبِهاتٌ، لا يَعْلَمُهُنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتَّقى الشُّبُهَات فقد اسْتَبرأَ لدينه وعرضه، ومَنْ وقَعَ في الشُّبُهَات وَقَعَ في الحرام؛ كالراعي يرعَى حَوْلَ الحمَى يُوشكُ أَنْ يَرتَعَ فيه، ألاَ وإنَّ لكلِّ مَلك حمىً، ألا وإنَّ حمَى الله محَارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ القلبُ»**[1] رواه البخاري ومسلم.

تعليق الشيخ العثيمين:

قسَّم النبي ﷺ الأمور إلى ثلاثة أقسام:

قسم حلال بيِّن لا اشتباه فيه، وقسم حرام بيِّن لا اشتباه فيه. وهذان واضحان، أما الحلال فحلال ولا يأثم الإنسان به، وأما الحرام فحرام ويأثم الإنسان به.

مثال الأول: حلّ بهيمة الأنعام، ومثال الثاني: تحريم الخمر.

أما القسم الثالث فهو الأمر المشتبه الذي يشتبه حكمه: هل هو من الحلال أو من الحرام؟ ويخفى حكمه على كثير من الناس، وإلا فهو معلوم عند آخرين.

فهذا يقول الرسول ﷺ: الورع تَرْكه، وأن لا يقع فيه الإنسان. ولهذا قال: **«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»**. استبرأ لدينه فيما بينه وبين الله، واستبرأ لعرضه فيما بينه وبين الناس، بحيث لا يقولون: فلان وقع في الحرام؛ حيث إنهم يعلمونه، وهو عنده مشتبه، ثم ضرب النبي ﷺ مثلاً لذلك بالراعي يرعى حول الحمى -أي حول الأرض المحمية التي لا ترعاها البهائم فتكون خضراء، لأنها لم تُرْعَ، فإنها تجذب البهائم حتى تدب إليها وترعاها-، **«كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»**، ثم قال ﷺ: **«ألا وإن لكل ملك حمى»** يعني أنه جرت العادة بأن الملوك يحمون شيئاً من الرياض التي يكون فيها العشب الكثير والزرع الكثير، **«ألا وإن حمى الله محارمه»** أي ما حرمه على عباده فهو حماه، لأنه منعهم أن يقعوا فيه، ثم بيَّن أن

---

(١) رواه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩)، وأبو داود (٣٣٢٩، ٣٣٣٠)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي (٧/ ٢٤١)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، وأحمد (٤/ ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٦٧)، والدارمي (٢/ ١٦١)، والحميدي (٩١٨)، وابن الجارود (٥٥٥).

قوله ﷺ : **«إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات»** إلخ؛ اختلف العلماء فى حد الحلال والحرام، فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دل الدليل على حله. وقال الشافعى ﷺ: الحرام ما دل الدليل على تحريمه.

قوله ﷺ : **«وبينهما أمور مشتبهات»** أى بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام، فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة، وكان السؤال عنه بدعة، وذلك كما إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك، بل ولا يستحب، ويكره السؤال عنه.

فى الجسد مضغة -يعنى لحمة بقدر ما يمضغه الآكل- إذا صلحت صلح الجسد كله، ثم بيَّنها بقوله: **«ألا وهي القلب»**، وهو إشارة إلى أنه يجب على الإنسان أن يراعى ما فى قلبه من الهوى الذى يعصف به حتى يقع فى الحرام والأمور المشتبهات.

فيستفاد من هذا الحديث فوائد:

أولاً: أن الشريعة الإسلامية حلالها بيِّن وحرامها بيِّن والمشتبه منها يعلمه بعض الناس.

ثانياً: أنه ينبغى للإنسان إذا اشتبه عليه الأمر: أحلال هو أم حرام؟ أن يتجنبه حتى يتبين له أنه حلال.

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان إذا وقع فى الأمور المشتبهة هان عليه أن يقع فى الأمور الواضحة، فإذا مارس الشىء المشتبه فإن نفسه تدعوه إلى أن يفعل نفس الشىء البين وحينئذ يهلك.

ومن فوائد هذا الحديث: جواز ضرب المثل من أجل أن يتبين الأمر المعنوى بضرب الأمر الحسى أى أن يشبه المعقول بالمحسوس ليقرب فهمه.

ومن فوائد هذا الحديث: حسن تعليم الرسول ﷺ بضربه للأمثال وتوضيحها.

ومن فوائد هذا الحديث: أن المدار فى الصلاح والفساد على القلب وينبنى على هذه الفائدة: أنه يجب على الإنسان العناية بقلبه دائماً وأبداً حتى يستقيم على ما ينبغى أن يكون عليه.

ومن فوائد الحديث: أن فساد الظاهر دليل على فساد الباطن؛ لقول النبى ﷺ **«إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»**، ففساد الظاهر عنوان فساد الباطن.

قوله ﷺ: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**» أي طلب براءة دينه وسَلِم من الشبهة، وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام، فيكون مَدْعاة لوقوعهم في الإثم، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنَّ مواقف التهم».[1] وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فرُبَّ سامع نُكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً.

وفي صحيح الترمذي أنه ﷺ قال: «**إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف**».[2] وذلك لئلا يقال عنه: أحدث.

قوله ﷺ: «**فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام**» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام.

والثاني- أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام، كما يقال: المعاصي بريد الكفر، لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها. قيل: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٢) يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء. وفي الحديث: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده. ويسرق الحبل فتقطع يده**»[3] أي يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة.

«والحمى» ما يحميه الغير من الحشيش في الأرض المباحة، فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته، فيرعى فيما حماه الغير، بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً من الحمى.

---

(١) **ضعيف جداً**: رواه أبو عبد الله الفلاكي في «الفوائد» (٩٠-٩١). أحمد بن عمار قال الدارقطني: متروك.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١١١٤)، وابن ماجه (١٢٢٢)، وابن الجارود (٢٢٢)، وصححه ابن حبان (٢٢٣٨، ٢٢٣٩) «الإحسان»، والحاكم (١/ ١٨٤، ٢٦٠)، ووافقه الذهبي. ورواه الدارقطني (١/ ١٥٧، ١٥٨)، والبيهقي (٢/ ٢٥٤)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة»: إسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري (٦٧٨٣، ٦٧٩٩)، ومسلم (١٦٨٧)، والنسائي (٨/ ٦٥)، وابن ماجه (٢٥٨٣)، وأحمد (٢/ ٢٥٣)، عن أبي هريرة.

واعلم: أن كل محرَّم له حمًى يحيط به: فالفرج محرم، وحماه الفخذان، لأنهما جعلا حريماً للمحرم، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم، فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرَّم، فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم.

قوله ﷺ: **«ألا وإن فى الجسد مضغة»** أى فى الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح، وإذا طمحت طمحت الجوارح، وإذا فسدت فسدت الجوارح، قال العلماء: البدن مملكة النفس ومدينتها، والقلب وسط المملكة، والأعضاء كالخدام، والقوة الباطنة كضياع المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح، والشهوة طالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح، ونصحه سم قاتل، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح، والقوة المخيِّلة فى مقدم الدماغ كالخازن، والقوة المفكرة فى وسط الدماغ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ، واللسان كالترجمان، والحواس الخمس جواسيس، وقد وُكِّل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات: فوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، وكذلك سائرها، فإنها أصحاب الأخبار. ثم قيل: هى كالحجبة توصِّل إلى النفس ما تدركه، وقيل: إن السمع والبصر والشم كالطاقات[1] تنظر منها النفس، فالقلب هو الملك، فإذا صلح الراعى صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية، إنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضا بالمقدور. وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين، عافانا الله منها، وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم.

---

(١) يريد كالنوافذ.

الحديث السابع

عن أبى رُقَيَّـةَ تميم بن أوس الدارى ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحةُ**. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قال: **للهِ ولِكتابه، ولِرَسُولِه، ولأئمة المُسلمينَ، وعامَّتِهم**»[1] رواه مسلم.

قوله ﷺ: «الدين النصيحة: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم». قال الخطابى: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له. وقيل: النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب. وقيل: إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط.

تعليق الشيخ العثيمين:

فالنصيحة لله عز وجل هى: النصيحة لدينه كذلك بالقيام بأوامره واجتناب نواهيه وتصديق خبره والإنابة إليه والتوكل عليه، وغير ذلك من شعائر الإسلام وشرائعه.

والنصيحة لكتابه: الإيمان بأنه كلام الله، وأنه مشتمل على الأخبار الصادقة والأحكام العادلة والقصص النافعة، وأنه يجب أن يكون التحاكم إليه فى جميع شئوننا.

والنصيحة للرسول ﷺ: الإيمان به، وأنه رسول الله إلى جميع العالمين، ومحبته، والتأسى به، وتصديق خبره، وامتثال أوامره، واجتناب نهيه، والدفاع عن دينه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: مناصحتهم ببيان الحق وعدم التشويش عليهم، والصبر على ما يحصل منهم من الأذى، وغير ذلك من حقوقهم المعروفة، ومساعدتهم، ومعاونتهم فيما تجب فيه المعونة كدفع الأعداء ونحو ذلك.

والنصيحة لعامة المسلمين: أى سائر المسلمين هى أيضًا: بذل النصيحة لهم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وتعليمهم الخير، وما أشبه هذا، ومن أجل ذلك صار الدين النصيحة، وأول ما يدخل فى عامة المسلمين نفس الإنسان، أى: ينصح الإنسان نفسه.

---

(١) رواه مسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائى (٧/ ١٥٦)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحميدى (٨٣٧)، وصححه ابن حبان (٤٥٧٤) (٤٥٧٥) «الإحسان».

قال العلماء: أما النصيحة لله تعالى فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله، ونفى الشريك عنه، وترك الإلحاد فى صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، ومودة من أطاعه ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص فى جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها، والتلطف بجميع الناس أو مَنْ أمكن منهم، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد فى نصحه نفسه، والله تعالى غنى عن نصح الناصح.

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الناس، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق. ثم تعظيمه، وتلاوته حق تلاوته وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه فى التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر فى عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه، وإلى ما ذكرناه من نصيحته.

وفى هذا الحديث من الفوائد:

أولاً: انحصار الدين فى النصيحة؛ لقول النبى ﷺ : **«الدين النصيحة»**.

ثانياً: أن مواطن النصيحة خمسة: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

ومن فوائد الحديث: الحث على النصيحة فى هذه المواطن الخمسة، لأنها إذا كانت هذه هى الدين فإن الإنسان بلا شك يحافظ على دينه ويتمسك به، ولهذا جعل النبى ﷺ النصيحة فى هذه المواطن الخمسة.

ومن فوائد هذا الحديث: تحريم الغش؛ لأنه إذا كانت النصيحة الدين، والغش ضد النصيحة، فيكون على خلاف الدين. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: **«من غشنا فليس منا»**.

وأما النصيحة لرسوله ﷺ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته فى أمره ونهيه، ونصرته حياً أو ميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسننه، وبث دعوته ونشر سنته، ونفى التهم عنها، ونشر علومها، والتفقه فيها، والدعاء لها، والتلطف فى تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع فى سننه، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به ونهيهم، وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغوا من حقوق المسلمين، وترك الخروج بالسيف عليهم، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم.

قال الخطابى: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يُدْعَى لهم بالصلاح.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: فى هذا الحديث دليل أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. قال: والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به ويسقط عن الباقين. قال: والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروهَ. فإن خشى أذى فهو فى سعة، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: ففى «صحيح البخارى» أنه ﷺ قال: **«إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له»**.[1] وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقاً، ومفهوم الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق، فجوابه: أنه يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية كنكاح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك، والأول يُحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبة على كل مسلم. والله تعالى أعلم.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٤١٨)(٤/٢٥٩)، وعبد بن حميد (٤٣٨)، والطبرانى فى «الكبير»، كما فى «المجمع» (٤/٨٣)، وقال الهيثمى: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. والحديث له شاهد من حديث جابر: رواه البيهقى (٥/٣٤٧)، والحديث صححه الألبانى، انظر «الصحيحة» (١٨٥٥)، ومما تقدم يتبين أن عزو الحديث للبخارى فى «صحيحه» وهم.

الحديث الثامن

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أُمرتُ أَن أقاتلَ الناسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلا اللهُ وأَنَّ محمداً رسولُ الله، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ، فإذا فَعلُوا ذلك عَصَمُوا منّى دِمَاءُهم وأمْوالَهُمْ إلاَّ بحقِّ الإسْلاَمِ، وحِسابُهُمْ على اللهِ تعالى»**(1) رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ: **«أمرت»** إلخ؛ فيه دليل على أن مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب.

قوله ﷺ: **«فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم»** فإن قيل: فالصوم من أركان الإسلام، وكذلك الحج، ولم يذكرهما. فجوابه: أن الصوم لا يقاتل

تعليق الشيخ العثيمين:

«أمرت»: أى أمره الله -عز وجل- وأبهم الفاعل لأنه معلوم فإن الآمر والناهى هو الله تعالى.

«أقاتل الناس حتى يشهدوا»: هذا الحديث عام لكنه خصص بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

وكذلك السنة جاءت بأن الناس يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب مقاتلة الناس حتى يدخلوا فى دين الله أو يعطوا الجزية، لهذا الحديث وللأدلة الأخرى التى ذكرناها.

ومن فوائد هذا الحديث: أن من امتنع عن الزكاة فإنه يجوز قتاله، ولهذا قاتل أبو بكر رضي الله عنه الذين امتنعوا عن الزكاة.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا دان بالإسلام ظاهراً فإن باطنه يوكل إلى الله، ولهذا قال: **«فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله»**.

---

(1) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، وابن منده فى «الإيمان» (٢٥)، وابن حبان (١٧٥، ٢١٩) «الإحسان»، والدارقطنى (١/ ٢٣٢)، والبيهقى (٣/ ٩٢، ٣٦٧)(٨/ ١٧٧)، والبغوي (٣٣).

الإنسان عليه، بل يحبس ويمنع الطعام والشراب، والحج على التراخى فلا يقاتل عليه، وإنما ذكر رسول الله ﷺ هذه الثلاثة لأنه يقاتل على تركها، ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ حين بعثه إلى اليمن، بل ذكر هذه الثلاثة خاصة.

وقوله ﷺ : **«إلا بحق الإسلام»** فمن حق الإسلام فعل الواجبات، فمن ترك الواجبات جاز قتاله -كالبغاة، وقطاع الطريق، والصائل، ومانع الزكاة، والممتنع من بذل المال للمضطر والبهيمة المحترمة، والجانى، والممتنع من قضاء الدَّين مع القدرة، والزانى المحصن، وتارك الجمعة والوضوء -، ففى تلك الأحوال يباح قتله وقتاله. وكذلك لو ترك الجماعة وقلنا إنها فرض عين أو كفاية.

وقوله ﷺ : **«وحسابهم على الله»** يعنى من أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وأتى الزكاة عصم دمه وماله، ثم إن كان فعل ذلك بنية خالصة صالحة فهو مؤمن، وإن كان فعله تَقيةً وخوفاً من السيف -كالمنافق- فحسابه على الله، وهو متولى السرائر، وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من الجنابة أو أكل فى بيته وادعى أنه صائم يُقبَل منه، وحسابه على الله عز وجل، والله أعلم.

ومن فوائد هذا الحديث: إثبات الحساب أى أن الإنسان يحاسب على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

الحديث التاسع

عن أبى هُريرةَ عبد الرحمن بن صَخْرٍ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فاجْتَنِبُوهُ، وما أَمَرْتُكُمْ به فأتُوا منهُ ما استَطعْتُمْ، فإنما أهلكَ الذينَ مِنْ قَبْلكُمْ كثرةُ مَسائِلِهِمْ واخْتِلافُهُمْ على أنبيائهمْ**»[1] رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» أى اجتنبوه جملة واحدة. لا تفعلوه ولا شيئاً منه. وهذا محمول على نهى التحريم، فأما نهى الكراهة فيجوز فعله، وأصل النهى فى اللغة المنع.

قوله ﷺ: «**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**» فيه مسائل:

(**منها**) إذا وجد ماءً للوضوء لا يكفيه. فالأظهر وجوب استعماله ثم يتيمم للباقى، (**ومنها**) إذا وجد بعض الصاع فى الفُطْرة فإنه يجب إخراجه، (**ومنها**) إذا وجد بعض

تعليق الشيخ العثيمين:

«**ما**» فى قوله: «**ما نهيتكم**» وفى قوله: «**ما أمرتكم**» شرطية يعنى الشىء الذى أنهاكم عنه اجتنبوه كله ولا تفعلوا منه شيئاً، لأن الاجتناب أسهل من الفعل كل يدركه، وأما المأمور فقال: «**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**» لأن المأمور فعل وقد يشق على الإنسان، ولذلك قيده النبى ﷺ بقوله: «**فأتوا منه ما استطعتم**».

فيستفاد من هذا الحديث فوائد: وجوب اجتناب ما نهى الرسول ﷺ عنه، وكذلك ما نهى الله عنه من باب أولى. وهذا ما لم يدل دليل على أن النهى للكراهة.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا يجوز فعل بعض المنهى عنه، بل يجب اجتنابه كله ومحل ذلك ما لم يكن هناك ضرورة تبيح فعله.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب فعل ما أمر به ومحل ذلك ما لم يقم دليل على أن الأمر للاستحباب.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، والترمذي (٢٦٧٩)، والنسائي (٥/ ١١٠)، وابن ماجه (١، ٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧، ٢٥٨، ٤٢٨، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٩٥، ٥٠٨)، والدارقطني (٢/ ٢٨١)، والبيهقي (٤/ ٣٢٦).

ما يكفى لنفقة القريب أو الزوجة أو البهيمة فإنه يجب بذله، وهذا بخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة فإنه لا يجب عتقه من الكفارة؛ لأن الكفارة لها بدل وهو الصوم.

وقوله ﷺ : **«فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»** اعلم أن السؤال على أقسام:

(القسم الأول) سؤال الجاهل عن فرائض الدين؛ كالوضوء والصلاة والصوم وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك. وهذا السؤال واجب، وعليه حمل قوله ﷺ : **«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»**[1] ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنى أعطيت لساناً سئولاً، وقلباً عقولاً». كذلك أخبر عن نفسه رضي الله عنه.

ومن فوائده: أنه لا يجب على الإنسان أكثر مما يستطيع.

ومن فوائده: سهولة هذا الدين الإسلامى حيث لم يُوجِب على المرء إلا ما يستطيعه.

ومن فوائده: أن من عجز عن بعض المأمور كفاه أن يأتى بما قدر عليه منه، فمن لم يستطع الصلاة قائماً صلى قاعداً، ومن لم يستطع قاعداً صلى على جنب، ومن أمكنه أن يركع فليركع، ومن لا يمكن فليومئ بالركوع، وهكذا بقية العبادات يأتى الإنسان منها بما يستطيع.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا ينبغى للإنسان كثرة المسائل، لأن كثرة المسائل ولا سيما فى زمن الوحى ربما يوجب تحريم شىء لم يحرم أو إيجاب شىء لم يجب، وإنما يقتصر الإنسان فى السؤال على ما يحتاج إليه فقط.

ومن فوائد هذا الحديث: أن كثرة المسائل والاختلاف على الأنبياء من أسباب الهلاك كما هلك بذلك من كان قبلنا.

---

(١) رواه الطبرانى فى «الصغير» (٢٢)، و«الأوسط» (٩، ٢٠٠٨، ٢٤٦٢، ٨٣٨١، ٨٨٣٣)، وابن عبد البر فى «العلم» عن أنس رضي الله عنه وفى الباب عن الحسين بن على وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلى وغيرهم. والحديث صحيح دون لفظة «ومسلمة» قال السخاوى فى «المقاصد الحسنة» (٦٦٠): وليس لها ذكر فى شىء من طرقه، وإن كان معناها صحيحاً. وأقره الألبانى على ذلك فى «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» رقم (٨٦).

(القسم الثاني) السؤال عن التفقه فى الدين لا للعمل وحده، مثل القضاء والفتوى، وهذا فرض كفاية؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١٢٢) الآية، وقال ﷺ: «**ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب**».[١]

(القسم الثالث) أن يسأل عن شيء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره، وعلى هذا حمل الحديث؛ لأنه قد يكون فى السؤال ترتيب مشقة بسبب تكليف يحصل، ولهذا أشار ﷺ: «**وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها**».[٢] وعن علي رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: ٩٧) قال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ «**وما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»[٣] فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١) أى لم آمركم بالعمل بها، وهذا النهى خاص بزمانه ﷺ، أما بعد أن استقرت، وأمن من الزيادة فيها، زال النهى بزوال سببه.

وكره جماعة من السلف السؤال عن معانى الآيات المشتبهة، سئل مالك[٤] رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء، أخرجوه عنى. وقال بعضهم: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وهو السؤال.

ومن فوائد هذا الحديث: التحذير من كثرة المسائل والاختلاف، لأن ذلك أهلك من كان قبلنا، فإذا فعلناه، فإنه يوشك أن نهلك كما هلكوا.

---

(١) قطعة من حديث أبى بكرة (سيأتى تخريجه).

(٢) هو حديث أبى ثعلبة الخشنى (سيأتى تخريجه).

(٣) رواه الترمذي (٨١٤)، وابن ماجه (٢٨٨٤)، وأحمد (١/ ١١٣)، وابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠١٤)، والدارقطني (٢/ ٢٨١)، والحاكم (٢/ ٢٩٤)، انظر «إرواء الغليل» للشيخ الألباني (٤/ ١٥٠).

(٤) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، والبيهقى فى «الأسماء والصفات» (٤٠٨، ٤٠٩)، وفى الاعتقاد (٥١)، ورواه اللالكائي (٦٦٤)، انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٣٦٥).

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً، وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنينَ بما أمَرَ به المرسَلينَ، فقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** (المؤمنون: ٥١)، وقال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** (البقرة: ١٧٢) **ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ: يارَبِّ يارب، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرام، فأنَّى يُسْتَجَابُ له**»(١) رواه مسلم.

قوله ﷺ: «إن الله تعالى طيب» عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك باسمك المطهر الطاهر، الطيب المبارك، الأحب إليك، الذى إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، وإذا استُرحمت به رحمت، وإذا استُفرجت به فرجت»(٢) ومعنى الطيب المنزه عن النقائص والخبائث، فيكون بمعنى القدوس، وقيل: طيب الثناء ومستلذ الأسماء عند العارفين بها، وهو طيَّبَ عباده لدخول الجنة بالأعمال الصالحة وطيبها لهم، والكلمة الطيبة: لا إله إلا الله.

تعليق الشيخ العثيمين:

«**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**» طيب فى ذاته، طيب فى صفاته، وطيب فى أفعاله، ولا يقبل إلا طيباً فى ذاته، وطيباً فى كسبه. وأما الخبيث فى ذاته كالخمر، أو فى كسبه كالمكتسب بالربا، فإن الله تعالى لا يقبله: «**وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**» فقال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** فأمر الله تعالى للرسل وأمره للمؤمنين واحد أن يأكلوا من الطيبات، وأما الخبائث فإنها حرام عليهم لقوله تعالى فى وصف رسول الله ﷺ: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾**.

ثم إن رسول الله ﷺ ذكر الرجل الذى يأكل الحرام أنه تبعد إجابة دعائه، وإن

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩)، وأحمد (٢/٣٢٨).

(٢) **ضعيف**: رواه ابن ماجه (٣٨٥٩) عن عائشة، وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة»: هذا إسناد فيه مقال وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (١١٩٣).

قوله ﷺ : «**لا يقبل إلا طيباً**» أى: فلا يتقرب إليه بصدقة حرام، ويكره التصدق بالردىء من الطعام كالحَبّ العتيق والمسوس، وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ** ﴾ (البقرة:٢٦٧)، فكما أنه تعالى لا يقبل من المال إلا الطيب، كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها، وقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ (البقرة:٥١) وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ (البقرة:١٧٢) المراد بالطيبات الحلال، وفى الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوِّى على الطاعة أو إحياء نفسه، وذلك من الواجبات، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم.

قوله: «**ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذى بالحرام**» أى شبع، وهو بضم الغين المعجمة، وكسر الذال المعجمة المخففة، من الغذى بالكسر والقصر، وأما الغداء بالفتح والمد والدال المهملة فهو عبارة عن نفس الطعام الذى يؤكل فى الغداة. قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا**﴾ (الكهف:٦٢).

وجدت منه أسباب الإجابة «**يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**» هذا الرجل اتصف بأربع صفات:

الأولى: بأنه يطيل السفر، والسفر مظنة الإجابة أى إجابة الداعى.

والثانية: أنه أشعث أغبر والله تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله وهو ينظر إلى عباده يوم عرفة ويقول: «**أتونى شعثاً غبراً**» وهذا من أسباب الإجابة أيضاً.

الثالثة: أنه يمد يديه إلى السماء ومد اليدين إلى السماء من أسباب الإجابة، فإن الله سبحانه وتعالى يستحى من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً.

الرابعة: دعاءه إياه «يا رب، يا رب» وهذا توسل إلى الله بربوبيته، وهو من أسباب الإجابة ولكنه لا تجاب دعوته، لأن مطعمه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فاستبعد النبى ﷺ أن تجاب دعوته وقال: «**فأنى يستجاب لذلك**».

قوله ﷺ : **«فأنى يستجاب له»** أى استبعاداً لقبول إجابة الدعاء، ولهذا شرط في العباد لقبول الدعاء: أكل الحلال، والصحيح أن ذلك ليس بشرط، فقد استجاب لشر خلقه إبليس فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥).

يستفاد من هذا الحديث فوائد:

- **منها:** وصف الله تعالى بالطيب ذاتاً وصفات وأفعالاً.

- **ومنها:** تنزيه الله تعالى عن كل نقص.

- **ومنها:** أن من الأعمال ما يقبله ومنها ما لا يقبله.

- **ومنها:** أن الله تعالى أمر عباده الرسل والمرسل إليهم أن يأكلوا من الطيبات وأن يشكروا الله سبحانه وتعالى.

- **ومنها:** أن الشكر هو العمل الصالح لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ وقال للمؤمنين: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ فدل هذا على أن الشكر هو العمل الصالح.

- **ومنها:** أن من شرط إجابة الدعاء اجتناب أكل الحرام لقول النبى ﷺ فى الذى مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام: أنى يستجاب لذلك.

- **ومنها:** أن من أسباب إجابة الدعاء كون الإنسان فى سفر.

- **ومنها:** أن من أسباب إجابة الدعاء رفع اليدين إلى الله.

- **ومنها:** أن من أسباب إجابة الدعاء التوسل إلى الله بالربوبية لأنها هى التى بها الخلق والتدبير.

- **ومنها:** أن الرسل مكلفون بالعبادات كما أن المؤمنين مكلفون بذلك.

- **ومنها:** وجوب الشكر لله على نعمه لقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾.

- **ومنها:** أنه ينبغى بل يجب على الإنسان أن يفعل الأسباب التى يحصل بها مطلوبه، ويتجنب الأسباب التى يمتنع بها مطلوبه.

الحديث الحادي عشر

عن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب سِبْط رسول الله ﷺ وريحانته رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **«دع ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُكَ»**[1] رواه الترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

قوله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»** فيه دليل على أن المتقى ينبغى له أن لا يأكل المال الذى فيه شبهة كما يحرم عليه أكل الحرام، وقد تقدم.

قوله **«إلى ما لا يريبك»** أى اعدل إلى ما لا ريب فيه من الطعام الذى يطمئن به القلب وتسكن إليه النفوس، والريبة الشك، وتقدم الكلام على الشبهة.

تعليق الشيخ العثيمين:

عن أبى محمد الحسن بن على سِبْط رسول **الله** ﷺ رضي الله عنه وعن أبيه وأمه وهو ابن بنت رسول **الله** ﷺ وهو **أفضل** الحسَنين فإن النبى ﷺ أثنى عليه وقال: **«إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين»**، فأصلح **الله** به بين الفئتين المتنازعتين حين تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان فنال بذلك السيادة.

أن النبى ﷺ قال: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»** يعنى: أى اترك الذى ترتاب فيه وتشك فيه إلى الشيء الذى لا تشك فيه، وهذا يشبه الحديث السابق أن النبى ﷺ قال: **«بينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»** فالذى يريبك وتشك فيه سواء كان فى أمور الدنيا أو فى أمور الآخرة فالأحسن أن ترتاح منه، وأن تدعه حتى لا يكون فى نفسك قلق واضطراب فيما فعلت وأتيت.

فمن فوائد هذا الحديث:

ما دل عليه لفظه من ترك الإنسان للأشياء التى يرتاب فيها إلى الأشياء التى لا يرتاب فيها.

ومنها: أن الإنسان مأمور باجتناب ما يدعو إلى القلق.

---

(1) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٨)، وقال: حسن صحيح، والنسائى والطيالسي (١١٧٨)، والدارمي (٢/ ٢٤٥)، وصححه ابن حبان (٧٢٢)، والحاكم (٢/ ١٣) (٤/ ٩٩)، ووافقه الذهبى، ورواه البيهقى (٥/ ٣٣٥). وصححه الألبانى فى «الإرواء» (٢٠٧٤)، وفى «صحيح الجامع» (٣٣٧٧).

الحديث الثاني عشر

عن أبى هُريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسلام المَرْءِ تركُهُ ما لا يَعْنيه»[1] حديث حسن. رواه الترمذى وغيره هكذا.

قوله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» أى ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال، وقال ﷺ لأبى ذر حين سأله عن صحف إبراهيم قال: «كانت أمثالاً كلها، كان فيها: أيها السلطان المغرور، إنى لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر، وكان فيها: على العاقل -ما لم يكن مغلوباً على عقله- أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يتفكر فى صنع الله تعالى وساعة يحدث فيها نفسه، وساعة يخلو بذى الجلال والإكرام. وأن تلك الساعة عون له على تلك الساعات. وكان فيها: على العاقل -ما لم يكن مغلوباً على عقله- ألا يكون ظاعناً إلا فى ثلاث: تزود لمعاد، ومؤونة لمعاش، ولذة فى غير

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث أصل فى الأدب والتوجيه السليم وهو أن الإنسان يترك ما لا يعنيه أى ما لا يهمه، وما لا علاقة له به، فإن هذا من حسن إسلامه ويكون أيضاً راحة له، لأنه إذا لم يكلف به فيكون راحة له بلا شك وأريح لنفسه.

فيستفاد من هذا الحديث: أولاً: أن الإسلام يتفاوت منه حسن، ومنه غير حسن لقوله: «**من حسن إسلام المرء**».

ومن فوائد هذا الحديث: أنه ينبغى للإنسان أن يدع ما لا يعنيه لا فى أمور دينه ولا دنياه، لأن ذلك أحفظ لوقته وأسلم لدينه وأيسر لتقصيره لو تدخل فى أمور الناس التى لا تعنيه لتعب، ولكنه إذا أعرض عنها ولم يشتغل إلا بما يعنيه صار ذلك طمأنينته وراحة له.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، والقضاعى فى «الشهاب» (١٩٢)، وأبو الشيخ فى «الأمثال» (٥٤)، وصححه ابن حبان (٢٢٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره. وصححه الألباني.

محرم، وكان فيها: على العاقل -ما لم يكن مغلوباً على عقله- أن يكون بصيراً لزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يُقل الكلام إلا فيما يعنيه، قلت: بأبى أنت وأمى، فما كان فى صحف موسى؟ قال: «كانت عبراً كلها، كان فيها: عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح. وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها، وعجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب، وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهو لا يعمل» قلت: بأبى أنت وأمى، هل بقى مما كان فى صحفهما شيء؟ قال: نعم يا أبا ذر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى: ١٤) إلى آخر السورة. قلت: بأبى أنت وأمي، أوصني. قال: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك كله» قال: قلت: زدني. قال: «عليك بتلاوة القرآن واذكر الله كثيراً يذكرك فى السماء» قلت: زدنى. قال: «عليك بالجهاد، فإنه رهبانية المؤمنين» قلت: زدنى. قال: «عليك بالصمت، فإنه مطردة للشياطين عنك، وعون لك على أمر دينك» قلت: زدنى، قال: «قل الحق ولو كان مراً» قلت: زدنى. قال: «لا تأخذك فى الله لومة لائم» قلت: زدنى. قال: «صل رحمك وإن قطعوك» قلت: زدنى قال: «بحسب امرئ من الشر ما يجهل من نفسه، ويتكلف ما لا يعنيه. يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق».[1]

ومن فوائد هذا الحديث: أن لا يضيع الإنسان ما يعنيه أى ما يهمه من أمور دينه ودنياه بل يعتنى به ويشتغل به، ويقصد إلى ما هو أقرب إلى تحصيل المقصود.

(١) **ضعيف** : رواه بطوله ابن حبان (٣٦١) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً، كذلك رواه بطوله أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٦٦-١٦٨) وأخرج بعضه ابن ماجه (٤٢١٨) وقال البوصيرى فى «المصباح»: فى إسناده القاسم ابن محمد وهو ضعيف، ورواه أحمد (٥/ ١٧٨)، والطبرانى في «الكبير» (١٦٥١)، والقضاعى في «مسند الشهاب» (٦٥١) (٨٣٧)، والحديث ضعفه الألبانى انظر «الضعيفة» (١٩١٠)، و«ضعيف الجامع» (٦٣٠٢).

الحديث الثالث عشر

عن أبى حمزة أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**لا يُؤْمِنُ أحَدُكم حتى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنفسه**»[1] رواه البخارى ومسلم.

قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً. والحديث محمول على نفى الإيمان الكامل عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة، ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية، فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها، والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع

تعليق الشيخ العثيمين:

«**لا يؤمن**»: يعنى الإيمان الكامل. **قوله: «حتى يحب لأخيه»** أى أخيه المسلم «**ما يحب لنفسه**» من أمور الدين والدنيا، لأن هذا مقتضى الأخوة الإيمانية أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

فيستفاد من هذا الحديث: أن الإيمان يتفاضل منه كامل، ومنه ناقص وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص.

ومن فوائد هذا الحديث: الحث على محبة الخير للمؤمنين لقوله: «**حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

ومن فوائد هذا الحديث: التحذير من أن يحب للمؤمنين ما لا يحبه لنفسه، لأنه ينقص بذلك إيمانه حتى إن الرسول ﷺ نفى عنه الإيمان، مما يدل على أهمية محبة الإنسان لإخوانه ما يحبه لنفسه.

---

(١) رواه البخارى (١٣) ومسلم (٤٥)، والترمذى (٢٥١٥)، والنسائى (٨/ ١٢٥)، وابن ماجه (٦٦)، وأحمد (٣/ ١٧٦، ٢٧٢، ٢٥١، ٢٨٩)، والدارمى (٢/ ٣٠٧)، والطيالسى (٢٠٠٤).

البشرية، ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً، والحسد -كما قال الغزالى- ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **(الأول)** أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه. **(الثاني)** أن يتمنى زوال نعمة الغير، وإن لم تحصل له، كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها، وهذا شر من الأول. **(الثالث)** ألا يتمنى زوال النعمة عن الغير، ولكن يكره ارتفاعه عليه فى الحظ والمنزلة، ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة. وهذا أيضاً محرم، لأنه لم يرضَ بقسمة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (الزخرف:٣٢) فمن لم يرضَ بالقسمة فقد عارض الله تعالى فى قسمته وحكمته، وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء، ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس.

ومن فوائد هذا الحديث: تقوية الروابط بين المؤمنين.

ومن فوائد هذا الحديث: أن من اتصف به فإنه لا يمكن أن يعتدى على أحد من المؤمنين فى ماله أو فى عرضه أو أهله، لأنه لا يحب أن يعتدى أحد عليه بذلك فلا يمكن أن يحب اعتداءه هو على أحد فى ذلك.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون يداً واحدة وقلباً واحداً وهذا مأخوذ من كون كمال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ومن فوائد هذا الحديث: استعمال ما يكون به العطف فى أساليب الكلام فى قوله: «**لأخيه**» ولو شاء لقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب للمؤمن ما يحب لنفسه» لكنه قال: «**لأخيه**» استعطافاً للإنسان أن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه.

الحديث الرابع عشر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِم إلاَّ بإحْدَى ثَلاث: الثَّيِّبُ الزَّاني، والنَّفْسُ بالنَّفسِ، والتَّارِكُ لدينه المفارِقُ للجـماعَة**»[1] رواهُ البخاريُّ ومسلم.

قوله ﷺ: «**الثـيب الزاني**» المراد بالثـيب من تزوج ووطئ فى نكاح صحيح، ثم زنى بعد ذلك، فإنه يـرجم، وإن لم يكن متزوجاً فى حالة الزنا لاتصافه بالإحصان.

قوله ﷺ «**والنفس بالنفس**» أى بشرط المكافأة، فـلا يُقتل المسلم بالكافر، ولا الحر بالعبد عند الشافعية لا الحنفية.

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث بين فيه الرسول ﷺ أن دماء المسلمين محترمة، وأنها محرمة لا يحل انتهاكها إلا بإحدى ثلاث.

«**الثيب الزاني**» وهو الذى تزوج ثم زنى بعد أن منّ الله عليـه بالزواج، فهذا يحل دمه، لأن حده أن يرجم بالحجارة حتى يموت.

الثانى: «**النفس بالنفس**» وهذا فى القصاص، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾.

الثالث: «**التارك لدينه المفارق للجـماعة**» والمراد به من خرج على الإمام، فإنه يباح قتله حتى يرجع ويتوب إلى الله عز وجل، وهـناك أشياء لم تذكر فى هذا الحديث مما يحل فيـها دم المسلم لكـن الرسول ﷺ كلامـه يجمع بعضـه من بعض ويكمل بعضه من بعض.

في هذا الحديث فـوائد: منها: احتـرام المسلم وأنه معصـوم الدم لقوله: «**لا يحل دم**

---

(١) رواه البخـاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمـذي (١٤٠٢)، والنسائي (٨/ ١٣)، وابن ماجه (٢٥٣٤)، وأحمد (١/ ٣٨٢، ٤٢٨، ٤٤٤)، والطيالسي (٢٨٩).

قوله ﷺ : «**والتارك لدينه، المفارق للجماعة**» وهو المرتد والعياذ بالله تعالى. وقد يكون موافقاً للجماعة كاليهودى إذا تنصر وبالعكس، لا يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة. وفيه قولان: أصحهما لا يقتل بل يلحق بالمؤمن، والثانى: يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذى كان عليه، وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك وهو غير الحق، فلا يترك، بل إن لم يسلم يقتل. وقد تقدم القتل أيضاً فى صورة سبق الكلام عليها.

امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث» ومنها: أنه يحل دم المرء المسلم بهذه الثلاث «**الثيب الزاني**» وهو الذى زنى بعد أن منَّ الله عليه بالنكاح الصحيح وجامع زوجته فيه ثم يزنى بعد ذلك فإنه يرجم حتى يموت. «**والنفس بالنفس**» يعنى إذا قتل شخصاً وتمت شروط القصاص فإنه يقتل به، لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ .

الثالث: «التارك لدينه المفارق للجماعة» وهذا هو المرتد، وإنه إذا ارتد بعد إسلامه حل دمه، لأنه صار غير معصوم الدم.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب رجم الزانى لقوله: «**الثيب الزاني**».

ومن فوائده أيضاً: جواز القصاص لكن الإنسان مخير -أعنى من له القصاص- بين أن يقتص أو يعفو إلى الدية أو يعفو مجاناً، **ومن فوائده أيضاً:** وجوب قتل المرتد إذا لم يتب.

الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خيراً أَوْ لِيَصْمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ جارَه، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» رواه البخاري ومسلم.[1]

قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» قال الشافعي رحمه الله تعالى: معنى الحديث إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضرراً أو شك فيه أمسك.

وقال الإمام الجليل أبو محمد ابن أبي زيد إمام المالكية بالمغرب في زمنه: جميع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث، قول النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله**

تعليق الشيخ العثيمين:

هذا الحديث من الآداب الإسلامية الواجبة:

الأول: إكرام الجار فإن الجار له حق، قال العلماء: إذا كان الجار مسلماً قريباً فله ثلاثة حقوق: الجوار والإسلام والقرابة، وإن كان مسلماً غير قريب فله حقان، وإذا كان كافراً غير قريب فله حق واحد حق الجوار.

وأما الضيف فهو الذي نزل بك وأنت في بلدك وهو مارٌّ مسافر، فهو غريب محتاج، وأما القول باللسان فإنه من أخطر ما يكون على الإنسان لهذا كان مما يجب عليه أن يعتني بما يقول فيقول خيراً أو يسكت.

ففي هذا الحديث من الفوائد: أولاً: وجوب إكرام الجار فيكون بكف الأذى عنه وبذل المعروف له، فمن لا يكف الأذى عن جاره فليس بمؤمن، لقول النبي ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**».

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤)، وابن ماجه (٣٩٧١)، وأحمد (٢/٢٦٧، ٤٦٣، ٤٣٣، ٢٦٩)، والطيالسي (٢٣٤٧)، والبيهقي (٨/١٦٤).

واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وقوله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[١]، وقوله ﷺ للذى اختصر له الوصية: **«لا تغضب»**[٢]، وقوله: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.[٣]

ونقل عن أبى القاسم القشيرى -رحمه الله تعالى- أنه قال: السكوت فى وقته صفة الرجال، كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصال، قال: وسمعت أبا عليّ الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس، وكذا نقله فى «حلية العلماء» عن غير واحد، وفى «حلية الأولياء» أن الإنسان لا ينبغى له أن يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه. وقال: لو كنتم تشترون الكاغد للحفظة لسكتم عن كثير من الكلام. وروى عنه ﷺ أنه قال: «من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه»، وروى عنه ﷺ أنه قال: «العافية فى عشرة أجزاء: تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله عز وجل»[٤] ويقال: من سكت فسلم، كمن قال فغنم، وقيل لبعضهم: لِمَ لزمت السكوت؟ قال: لأنى لم أندم على السكوت قط، وقد ندمت على الكلام

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب إكرام الضيف لقوله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»** ومن إكرامه إحسان ضيافته، والواجب فى الضيافة يوم وليلة وما بعده فهو تطوع، ولا ينبغى لضيف أن يكثر على مضيفه بل يجلس بقدر الضرورة فإذا زاد على ثلاثة أيام فليستأذن من مضيفه حتى لا يكلف عليه.

ومن فوائد هذا الحديث: رعاية الإسلام للجوار والضيافة، فهذا يدل على كمال الإسلام، وأنه متضمن للقيام بحق الله سبحانه وتعالى وبحق الناس.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سيأتى تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، والترمذي (٢٥١٥)، والنسائي (٨/ ١٢٥)، وابن ماجه (٦٦)، وأحمد (٣/ ١٧٦، ٢٧٢، ٢٥١، ٢٨٩) عن أنس.

(٤) **منكر**: رواه الديلمى فى «الفردوس» (٤٠٥٢) عن ابن عباس، وقال العراقى: حديث منكر [(انظر كشف الخفا (٢/ ٧٠، ٨٤)].

مراراً، ومما قيل: جرح اللسان كجرح اليد. وقيل: اللسان كلب عقور، إن خلى عنه عقر، وروى عن علي رضي الله عنه:

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْل
فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرِّجل تبرأ على المهل

ومما قيل:

قد أفلح الساكت الصموت * كلام قد يعدُّ قوت
ما كل نطق له جواب * جواب ما يكره السكوت
واعجبًا لامرئ ظلوم * مستيقن أنه يموت

قوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» قال القاضي عياض: معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام الضيف والجار، وقد قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1] .

وقال ﷺ: «من آذى جاره، ملكه الله داره»[2] وقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ

ومن فوائد هذا الحديث: أنه يصح نفي الإيمان لانتفاء كماله لقوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**» ونفي الإيمان ينقسم إلى قسمين:

نفي مطلق: وهو الذى يكون الإنسان به كافراً كفراً مخرجاً عن الملة.

ومطلق نفي: وهذا الذى يكون به الإنسان كافراً فى هذه الخصلة التى فرط فيها لكنه معه أصل الإيمان، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة أن الإنسان قد يجتمع فيه خصال الإيمان وخصال الكفر.

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤)، وأبو داود (٥١٥١)، والترمذي (١٩٤٢)، وابن ماجه (٣٦٧٣)، وأحمد (٦/ ٥٢، ٩١، ١٢٥، ١٨٧، ٢٣٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) قال العجلونى فى «كشف الخفاء» (٢٣٣٢) لعله مثلٌ سائر وليس بحديث، ومأخذه من كتاب الله من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ (النساء:٣٦) الجار يقع على أربعة: الساكن معك فى البيت.

قال الشاعر:

* أجارتنا في البيت إنك طالق *

ويقع على من لاصق بيتك، ويقع على أربعين داراً من كل جانب، ويقع على من يسكن معك فى البلد، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً﴾ (الأحزاب: ٦٠).

فالجار الملاصق القريب المسلم له ثلاثة حقوق، والجار البعيد المسلم له حقان، والقريب غير المسلم له حق واحد. والضيافة من آداب الإسلام وخُلُق النبيين والصالحين، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة، واختلفوا هل الضيافة على الحاضر والبادى، أم على البادى خاصة؟ فذهب الشافعى ومحمد بن عبد الحكم إلى أنها على الحاضر والبادى، وذهب مالك وسحنون إلى أنها على أهل البوادى، لأن المسافر يجد فى الحضر المنازل فى الفنادق ومواضع النزول وما يشترى من الأسواق، وقد جاء فى حديث: «الضيافة على أهل الوبر، وليست على أهل المدر»[1] لكنه حديث موضوع.

---

(١) **موضوع**: رواه القضاعى فى «الشهاب» (٢٨٤)، والديلمى فى «الفردوس» (٣٧١٢)، وابن عدى فى «الكامل» فى ترجمة إبراهيم بن عبد الله بن همام. وقال الألبانى: موضوع، انظر «الضعيفة» (٧٩١) و«كشف الخفاء» (٢/٤٧).

الحديث السادس عشر

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبى ﷺ : أوصنى، قال: «**لا تَغْضَبْ**» فرَدَدَّ مِراراً قال: «**لا تَغْضَبْ**» رواه البخارى.[١]

قوله ﷺ : «**لا تغضب**» معناه لا تنفذ غضبك، وليس النهى راجعاً إلى نفس الغضب لأنه من طباع البشر، ولا يمكن الإنسان دفعه. وقوله ﷺ : «إياكم والغضب، فإنه جمرة تتوقد فى فؤاد ابن آدم، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، فإذا أحس أحدكم بشىء من ذلك فليضطجع أو ليلصق بالأرض»[٢] وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله؛ علمنى علما يقربنى من الجنة ويبعدنى من النار، قال «**لا تغضب ولك الجنة**»[٣] وقال ﷺ : «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما يطفئ النارَ الماءُ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[٤] وقال أبو ذر الغفارى: قال لنا رسول الله ﷺ : «**إذا**

تعليق الشيخ العثيمين:

الوصية هى العهد إلى الشخص بالأمر الهام، وهذا الرجل طلب من النبى ﷺ أن يوصيه، فقال: «**لا تغضب**» وعدل النبى ﷺ عن الوصية بالتقوى التى أوصى الله عز وجل بها هذه الأمة وأوصى بها الذين أوتوا الكتاب من قبلنا إلى قوله: «**لا تغضب**»، لأنه يعلم من حال هذا الرجل والله أعلم أنه كثير الغضب ولهذا أوصاه بقوله: «**لا تغضب**» وليس المراد النهى عن الغضب الذى هو طبيعة من طبيعة الإنسان، ولكن المراد: املك نفسك عند الغضب بحيث لا تنفذ إلى ما يقتضيه ذلك

---

(١) رواه البخارى (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠)، وأحمد (٢/ ٣٦٢،٤٦٦).

(٢) **ضعيف** : رواه الترمذي (٢١٩١)، وأحمد (٣/ ١٩)، والخرائطى فى «مساوئ الأخلاق» (٣٢١) عن أبى سعيد.

(٣) رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٢٣٥٣) عن أبى الدرداء، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط» وأحد إسنادى الكبير رجاله ثقات.

(٤) **ضعيف** : رواه أبو داود (٤٧٨٤)، وأحمد (٤/ ٢٢٦)، والخرائطى فى «مساوئ الأخلاق» (٣٤٨)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٦٧)، والبغوى (٣٥٨٣)، والحديث ضعفه الألبانى انظر «الضعيفة» (٥٨٢).

غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع»[1] قال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام: إنى معلمك علماً نافعاً: لا تغضب. فقال: وكيف لى ألا أغضب؟ قال: إذا قيل لك ما فيك، فقل: ذنب ذكرته، أستغفر الله منه. وإن قيل لك ما ليس فيك، فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيِّرت به، وهى حسنة سيقت إليك. وقال عمرو بن العاص[2]: سألت رسول الله ﷺ عما يبعدنى عن غضب الله تعالى، قال: **«لا تغضب»**[3] وقال لقمان لابنه: إذا أردت أن تؤاخى أخاً فأغضبه، فإن أنصفك وهو مغضب، وإلا فاحذره.

الغضب، لأن الغضب جمرة يلقيها الشيطان فى قلب ابن آدم فلهذا تجده تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه، وربما يذهب شعوره بسبب الغضب ويكون أشياء لا يحمد عقباها وربما يندم ندماً عظيماً على ما حصل منه، فلهذا أوصاه النبى ﷺ بهذه الوصية وهى وصية له ولمن كان حاله مثل حاله.

ما يؤخذ من الحديث: أنه ينبغى للمفتى والمعلم أن يراعى حال المستفتى وحال المتعلم وأن يخاطبه بما تقتضيه حاله، وإن كان لو خاطب غيره فخاطبه بشىء آخر.

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (٤٧٨٢)، وأحمد (٥/ ١٥٢)، وصححه ابن حبان (٥٦٨٨) «الإحسان»، ورواه البغوي (٣٥٨٤)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» (٦٩٤).

(٢) الصحيح أنه عن عبد الله بن عمرو.

(٣) **حسن** : رواه أحمد (٢/ ١٧٥)، وصححه ابن حبان (٢٩٦) عن عبد الله بن عمرو، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن. وفى الباب عن جارية رواه أحمد (٣/ ٤٨٤)، وهناد فى «الزهد» (١٢٩٩) وعن أبى هريرة عند البخارى (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠).

الحديث السابع عشر

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ على كُلِّ شيءٍ، فإذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القتلةَ، وإذَا ذَبحْتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ولْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وليُرِحْ ذَبيحَتَهُ»** رواه مسلم.[1]

قوله ﷺ: **«إن الله كتب الإحسان على كل شيء»**، ومن جملة الإحسان عند

تعليق الشيخ العثيمين:

الإحسان ضد الإساءة وهو معروف. **«كتب»**: بمعنى شرع، وقوله: **«على كل شيء»** الذى يظهر أنها بمعنى فى كل شيء، يعنى أن الإحسان ليس خاصاً فى بنى آدم بل هو عام فى كل شيء **«فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»** وهذا من الإحسان.

وقوله: **«إذا قتلتم»** هذا حين القتل من بنى آدم أو مما يباح قتله أو يُسن من الحيوانات من وحوش وغيرها.

وقوله: **«فأحسنوا القتلة»** أن يسلك أقرب الطرق إلى حصول المقصود بغير أذية لكى يرد على هذا ما ثبت من رجم الزانى المحصن، والجواب عنه أن يقال: أنه مستثنى من الحديث وإما أن يقال: المراد **«فأحسنوا القتلة»** موافقة الشرع وقتل المحصن بالرجم موافق للشرع.

وأما قوله: **«فأحسنوا الذبحة»** والمراد به المذبوح من الحيوان الذى يكون ذبحه ذكاة له مثل الأنعام والصيد وغير ذلك، فإن الإنسان يسلك أقرب الطرق التى يحصل بها المقصود الشرعى من الذكاة، ولهذا قال: **«وليحد أحدكم شفرته»** أى سكينه **«وليرح ذبيحته»** أى يفعل ما به راحتها.

---

(١) رواه مسلم (١٩٥٥)، وأبو داود (٢٨١٥)، والترمذي (١٤٠٩)، والنسائي (٧/ ٢٢٧)، وابن ماجه (٣١٧٠)، وأحمد (٤/ ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥)، والطيالسي (١١١٩).

قتل المسلم فى القصاص أن يتفقد آلة القصاص، ولا يقتل بآلة كالة، وكذلك يحد الشفرة عند الذبح ويريح البهيمة، ولا يقطع منها شيئاً حتى تموت، ولا يحد السكين قبالها، وأن يعرض عليها الماء قبل الذبح، ولا يذبح اللبون ولا ذات الولد حتى يستغنى عن اللبن، وألا يستقصى فى الحلب، ويقلم أظفاره عند الحلب، قالوا: ولا يذبح واحدة قُدّام أخرى.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الله سبحانه وتعالى جعل الإحسان فى كل شىء حتى فى إزهاق الروح، فإن الله تعالى أمر بالإحسان فيه.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب إحسان القتلة، وذلك بأن يسلك أسهل الطرق لإزهاق الروح، ووجوب إحسان الذبحة كذلك بأن يسلك أقرب الطرق لإزهاق الروح ولكن على الوجه المشروع.

ومن فوائد هذا الحديث: طلب تفقد آلات الذبح لقوله ﷺ: «**وليحد أحدكم شفرته**».

ومن فوائد هذا الحديث: طلب راحة الذبيحة عند الذبح، ومن ذلك أن يضجعها برفق دون أن يتعسف فى إضجاعها، ومن ذلك أيضاً أن يضع رجله على عُنقها ويدع قوائمها الأربعة اليدين والرجلين بدون إمساك، لأن ذلك أبلغ فى إراحتها وحريتها فى الحركة، ولأن ذلك أبلغ فى خروج الدم عنها فكان أولى.

الحديث الثامن عشر

عن أبى ذر جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقِ اللهَ حيثُمَا كُنْتَ، وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**» رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. وفى بعض النسخ: حسنٌ صحيحٌ.[1]

قوله ﷺ: «**اتق الله حيث ما كنت**» أى اتقه فى الخلوة كما تتقيه فى الجلوة بحضرة الناس، واتقه فى سائر الأمكنة والأزمنة، ومما يعين على التقوى استحضار أن الله تعالى مطلع على العبد فى سائر أحواله، قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة: ٧) الآية، والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات.

تعليق الشيخ العثيمين:

قوله: «**اتق الله**» فعل أمر من التقوى وهو اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه فهذا هو التقوى وهذا هو أحسن حد قيل فيها.

«**اتق الله حيثما كنت**» فى أى مكان كنت، فلا تتقى الله فى مكان يراك فيه الناس، ولا تتقيه فى مكان لا يراك فيه أحد، فإن الله تعالى يراك حيثما كنت فاتقه حيثما كنت.

«**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» يعنى اجعل الحسنة تتبع السيئة، فإذا فعلت سيئة فأتبعها بالحسنة ومن ذلك - أى إتباع السيئة بالحسنة- أن تتوب إلى الله من السيئة فإن التوبة حسنة.

وقوله: «**تمحها**» يعنى الحسنة إذا جاءت بعد السيئة فإنها تمحو السيئة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

وفي هذا الحديث من الفوائد: حرص النبى ﷺ على أمته بتوجيههم لما فيه الخير والصلاح، **ومنها:** وجوب تقوى الله عز وجل فى أى مكان كان، **ومنها:** وجوب التقوى فى السر والعلن، لقوله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت**».

---

(١) **صحيح**: روى حديث معاذ الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ٢٣٦)، ووكيع فى «الزهد» (٩٤)، وابن الجعد (٣١٢)، وهناد فى «الزهد» (١٠٧٣)، والطبرانى فى «الأوسط» (٣٧٧٩)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ٣٧٦)، أما حديث أبى ذر فرواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣، ١٥٨، ١٧٧)، والدارمى (٢/ ٣٢٣)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ٣٧٨)، والحديث حسنه الألبانى انظر «صحيح الجامع» (٩٧).

قوله ﷺ **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»** أى: إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها، وافعل بعدها حسنة تمحها.

اعلم أن ظاهر هذا الحديث يدل على أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة وإن كانت الحسنة بعشر، وأن التضعيف لا يمحو السيئة. وليس هذا ظاهره، بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات. وقد ورد فى الحديث ما يشهد لذلك، وهو قوله ﷺ: **«تكبرون دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتسبحون عشراً فذلك مائة وخمسون باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان»** ثم قال ﷺ: **«أيكم يفعل فى اليوم الواحد ألفاً وخمسمائة سيئة»**[1] دل على أن التضعيف يمحو السيئات. وظاهر الحديث أن الحسنة تمحو السيئة مطلقاً، وهو محمول على السيئة المتعلقة بحق الله تعالى، أما المتعلقة بحق العباد -من الغصب والغيبة والنميمة- فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد، ولا أن يعين له جهة الظلامة فيقول: قلت عليك كيت وكيت. وفى الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة، قال ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[2] قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: ١٨).

ومن فوائد هذا الحديث: الإشارة إلى أن السيئة إذا تبعتها الحسنة فإنها تمحوها وتزيلها بالكلية، وهذا عام فى كل حسنة وسيئة إذا كانت الحسنة هى التوبة، لأن التوبة تهدم ما قبلها، أما إذا كانت الحسنة غير التوبة وهو أن يعمل الإنسان عملاً سيئاً ثم يعمل عملاً صالحاً، فإن هذا يكون بالموازنة فإذا رجح العمل الحسن على السيئ زال أثره كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾. ثم قال: **«وخالق الناس بخلق حسن»** عاملهم بالأخلاق الحسنة بالقول والفعل، فإن ذلك خير وهذا الأمر، إما على سبيل الوجوب وإما على سبيل الاستحباب، **فيستفاد منه:** مشروعية مخالقة الناس بالخلق الحسن وأطلق النبى ﷺ كيفية المخالقة، وهى تختلف بحسب أحوال الناس فقد تكون حسنة لشخص، ولا تكون حسنة لغيره. والإنسان العاقل يعرف ويزن.

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠)، وابن ماجه (٩٢٦)، والنسائى فى «اليوم والليلة» (٨١٩،٨١٣)، والحميدى فى «مسنده» (٥٨٣)، وصححه ابن حبان (٢٠١٢، ٢٠١٨) «الإحسان».

(٢) **موقوف** : رواه الإمام أحمد فى «الزهد» ص (١٤٩)، وابن أبى الدنيا فى «محاسبة النفس» (٢)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٥٢)، انظر «السلسلة الضعيفة» (١٢٠١).

قوله ﷺ : «**وخالق الناس بخلق حسن**» اعلم أن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وإلى كف الأذى عنهم، وقال ﷺ : «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»(١)، وعنه ﷺ : «**خيركم أحسنكم أخلاقاً**»(٢)، وعنه ﷺ أن رجلاً أتاه فقال: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال؟ قال: «**حسن الخلق**»(٣) وهو على ما مر: ألا تغضب. ويقال: اشتكى نبى إلى ربه سوء خلق امرأته، فأوحى الله إليه: قد جعلت ذلك حظك من الأذى. وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً. وخيارهم خيارهم لنسائهم**»(٤) وعنه ﷺ : «**إن الله اختار لكم الإسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق والسخاء، فإنه لا يكمل إلا بهما**»، وقال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الآية (الأعراف:١٩٩) قال فى تفسير ذلك: «**أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك**»(٥) وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المؤمنون:٩٦) الآية، وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) قال: كان خلقه القرآن: يأتمر بأوامره، وينزجر بزواجره، ويرضى لرضاه، ويسخط لسخطه ﷺ .

---

(١) **ضعيف الإسناد:** رواه أبو يعلى (٦٥١٩)، والبزار (١٩٧٧، ١٩٧٨) فى «كشف الأستار»، وأبو نعيم فى «الحلية» (١٠/ ٢٥)، والحاكم (١/ ١٢٤) وضعف إسناده الذهبي. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٢): رواه أبو يعلى والبزار وفيه عبد الله بن سعيد المقبرى وهو ضعيف.

(٢) رواه البخارى (٣٥٥٩، ٣٧٥٩، ٦٠٢٩، ٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١)، والترمذي (١٩٧٥)، وأحمد (١٦١٢، ١٩٣ ، ١٨٩)، والطيالسى (٢٢٤٦) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) **صحيح :** رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، والطيالسي (١٢٣٣)، وابن أبى شيبة (٨/ ٥١٤)، وصححه ابن حبان (٤٧٨، ٤٨٦)، ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٤٧٠، ٤٧٥، ٤٦٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢) عن أسامة بن شريك.

(٤) **صحيح :** رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧)، والدارمي (٢/ ٣٢٢)، والآجرى فى «الشريعة» ص (١١٥)، وصححه ابن حبان (٤١٧٦)، والحاكم (١/ ٣)، ووافقه الذهبى. كلهم عن أبى هريرة، والحديث صححه الألبانى، انظر «الصحيحة» (٢٨٤)، و«صحيح الجامع» (١٢٣٠).

(٥) رواه الطبرى (١٥٥٤٧، ١٥٥٤٨) فى «تفسيره» وعزاه ابن كثير لابن أبى حاتم وقال: مرسل، وله شواهد من وجوه أخر. والحديث روى -مرفوعاً- عن عقبة «**يا عقبة صل من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعف عمن ظلمك**» رواه أحمد (٤/ ١٤٨، ١٥٨)، وابن أبى الدنيا فى «مكارم الأخلاق» (١٩، ٢٠)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٢٦٩، ٢٧٠)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ١٨٨): أحد إسنادى أحمد رجاله ثقات.

الحديث التاسع عشر

عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال: **«يا غُلام إنى أُعلّمُكَ كَلمات: احفَظ اللهَ يَحفَظْك، احفَظ اللهَ تَجدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلتَ فاسْأَل اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، واعْلَم أنَّ الأمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيء لم ينفعُوكَ إلاَّ بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا عَلى أنْ يَضُرُّوكَ بشَيء لم يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عليكَ رفُعَت الأقلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»**، رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح[1].

تعليق الشيخ العثيمين:

قوله: «كنت خلف النبي» يحتمل أنه راكب معه، ويحتمل أنه يمشى خلفه وأيًّا كان فالمهم أنه أوصاه بهذه الوصايا العظيمة.

قال: «إني أعلمك كلمات» قال ذلك من أجل أن ينتبه لها.

«احفظ الله يحفظك» هذه كلمة **«احفظ الله»** يعنى: احفظ حدوده وشريعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه يحفظك فى دينك وأهلك ومالك ونفسك، لأن الله سبحانه وتعالى يجزى المحسنين بإحسانهم، وعلم من هذا أن من لم يحفظ الله فإنه لا يستحق أن يحفظه الله عز وجل، وفى هذا الترغيب على حفظ حدود الله عز وجل.

الكلمة الثانية قال: «احفظ الله تجده تجاهك» ونقول فى قوله **«احفظ الله»** كما قلنا فى الأولى. ومعنى **«تجده تجاهك»** أى تجده أمامك يدلك على كل خير ويقربك إليه ويهديك إليه.

الكلمة الثالثة: «إذا سألت فاسأل الله» إذا سألت حاجة فلا تسأل إلا الله عز وجل ولا تسأل المخلوق شيئاً، وإذا قدر أنك سألت المخلوق ما يقدر عليه، فاعلم أنه سبب من الأسباب، وأن المسبب هو الله عزوجل فاعتمد على الله تعالى.

---

(١) صحيح : رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، ورواه ابن أبى عاصم فى «السنة» (٢١٦، ٢١٧، ٢١٨)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والآجرى فى «الشريعة» ص (١٩٨)، وهناد فى «الزهد» (٥٣٦)، والطبرانى فى «الأوسط» (٥٤١٧)، والحاكم (٣/ ٥٤١، ٥٤٢)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣١٤) وصححه الألباني.

وفى رواية غير الترمذى: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِى الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِى الشِّدَّةِ، واعْلَمْ أَنَّ ما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وما أَصَابَكَ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، واعلَم أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا».

قوله ﷺ: «احفظ الله يحفظك» أى احفظ أوامره وامتثلها وانته عن نواهيه يحفظك فى تقلباتك، وفى دنياك وآخرتك. قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، وما يحصل للعبد من البلاء والمصائب بسبب تضييع أوامر الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠).

الكلمة الرابعة: «وإذا استعنت فاستعن بالله» فإذا أردت العون وطلبت العون من أحد فلا تطلب العون إلا من الله، لأنه هو الذى بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو يعينك إذا شاء وإذا أخلصت الاستعانة بالله وتوكلت عليه أعانك، وإذا استعنت بمخلوق فيما يقدر عليه فاعتقد أنه سبب وأن الله هو الذى سخره لك.

الخامسة: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك» الأمة كلها من أولها إلى آخرها لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وعلى هذا فإن نفع الخلق الذى يأتى للإنسان فهو من الله فى الحقيقة، لأنه هو الذى كتبه له وهذا حث لنا على أن نعتمد على الله تعالى ونعلم أن الأمة لا يجلبون لنا خيراً إلا بإذن الله عز وجل.

السادسة: «ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك» وعلى هذا فإن نالك ضرر من أحد فاعلم أن الله قد كتبه عليك فارض بقضاء الله وبقدره ولا حرج أن تحاول أن تدفع الضر عنك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

السابعة: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» يعنى أن ما كتبه الله تعالى قد انتهى فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله.

رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح. وفى رواية غير الترمذى: **«احفظ الله تجده أمامك»** وهذا بمعنى **«احفظ الله تجده تجاهك»**، **«تعرف إلى الله في الرخاء

قوله ﷺ : «تجده تجاهك» أى أمامك.

قال ﷺ : «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة»، وقد نص الله تعالى فى كتابه أن العمل الصالح ينفع عند الشدة وينجّى فاعله، وأن عمل المصائب يؤدى بصاحبه إلى الشدة. قال الله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات: ١٤٤)، ولما قال فرعون: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (يونس: ٩٠) قال له الملك: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٩١).

قوله ﷺ : «إذا سألت فاسأل الله» إشارة إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله، بل يتوكل عليه فى سائر أموره. ثم إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجرِ العادة بجريانها على أيدى خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن

يعرفك في الشدة» يعنى قم بحق الله عز وجل فى حال الرخاء، فى حال الصحة، فى حال الغنى **«يعرفك في الشدة»** إذا زالت عنك الصحة وزال عنك الغنى واحتجت إلى الله عرفك بما سبق لك، أو بما سبق من فعل الخير الذى تعرفت به إلى الله عز وجل.

«واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك» يعنى أن ما قدر الله تعالى أن يصيبك فإنه لا يخطئك، بل لابد أن يقع، لأن الله قدره.

وأن ما كتب الله أن يخطئك رفعه عنك فلن يصيبك أبداً فالأمر كله بيد الله وهذا يؤدى إلى أن يعتمد الإنسان على ربه اعتماداً كاملاً ثم قال: **«واعلم أن النصر مع الصبر»** فهذه الجملة فيها الحث على الصبر، لأنه إذا كان النصر مع الصبر فإن الإنسان يصبر من أجل أن ينال النصر.

وقوله: «وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» الفرج انكشاف الشدة والكرب الشديد جمعه كروب كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

فى حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فوائد:

أولاً: ملاطفة النبى ﷺ لمن هو دونه حيث قال: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات»**.

والسنة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، سأل ربه ذلك. وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدى خلقه كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور، سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم، فيقول: اللهم حنن علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك، ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق؛ لأنه ﷺ سمع علياً يقول: اللهم أغننا عن خلقك، فقال: «لا تقل هكذا، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض، ولكن قل: اللهم أغننا عن شرار خلقك». وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم، ويروى عن الله تعالى فى الكتب المنزلة: أيقرع بالخواطر باب غيرى وبابى مفتوح؟ أم هل يؤمل للشدائد سواى وأنا الملك القادر؟ لأكسوَنَّ من أمَّل غيرى ثوب المذلة بين الناس... إلخ.

ومن فوائده: أنه ينبغى لمن ألقى كلاماً ذا أهمية أن يقدم له ما يوجب لفت الانتباه حيث قال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات»**.

ومن فوائد الحديث: أن من حفظ الله حفظه لقوله: **«احفظ الله يحفظك»** وسبق معنى **«احفظ الله يحفظك»**.

ومن فوائد الحديث: أن من أضاع الله -أى أضاع دين الله- فإن الله يضيعه ولا يحفظه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

ومن فوائد هذا الحديث: أن من حفظ الله عز وجل هداه ودله على ما فيه الخير، وأن من لازم حفظ الله له أن يمنع عنه الشر إذ قوله: **«احفظ الله تجده تجاهك»** كقوله فى اللفظ الآخر: **«تجده أمامك»**.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا احتاج إلى معونة فليستعن بالله، ولكن لا مانع أن يستعين بغير الله ممن يمكنه أن يعينه لقول النبى ﷺ : **«وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة»**.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الأمة لن تستطيع أن ينفعوا أحداً إلا إذا كان الله قد كتبه له ولن يستطيعوا أن يضروا أحداً إلا أن يكون الله تعالى قد كتب ذلك عليه.

قوله ﷺ : «**واعلم أن الأمة..إلخ**» لما كان قد يطمع فى بر من يحبه، ويخاف شر من يحذره، قطع الله اليأس من نفع الخلق بقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس:١٠٧) ولا ينافى هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء:١٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ (طه:٤٥) وكذا قوله: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (النساء:٧١) إلى غير ذلك، بل السلامة بقَدَر الله، والعطب بقَدَر الله، والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة، قال الله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥).

ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجب على المرء أن يكون معلقاً رجاؤه بالله عز وجل وأن لا يلتفت إلى المخلوقين فإن المخلوقين لا يملكون له ضراً ولا نفعاً.

ومن فوائد هذا الحديث: أن كل شيء مكتوب منتهى منه، فقد ثبت عن النبى ﷺ أن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

ومن فوائد هذا الحديث: فى الرواية الأخرى أن الإنسان إذا تعرف إلى الله بطاعته فى الصحة والرخاء، عرفه الله تعالى فى حال الشدة فلطف به وأعانه وأزال شدته.

ومن فوائده: أن الإنسان إذا كان قد كتب الله عليه شيئاً فإنه لا يخطئه، وأن الله إذا لم يكتب عليه شىء فإنه لا يصيبه.

ومن فوائد هذا الحديث: البشارة العظيمة للصابرين، وأن النصر مقارن للصبر.

ومن فوائده: البشارة العظيمة أيضاً بأن تفريج الكربات وإزالة الشدات مقرون بالكرب فكلما كرب الإنسان الأمر فرج الله عنه.

ومن فوائده أيضاً: البشارة العظيمة أن الإنسان إذا أصابه العسر فلينتظر اليسر، وقد ذكر الله تعالى ذلك فى القرآن فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فإذا عسرت بك الأمور فالتجىء إلى الله عز وجل منتظراً تيسيره مصدقاً بوعده.

قوله ﷺ : «**واعلم أن النصر مع الصبر**»، قال ﷺ : «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا، فإن الله مع الصابرين**»[١]. كذلك الصبر على الأذى في موطن يعقبه النصر.

قوله ﷺ : «**وإن الفرج مع الكرب**» الكرب هو شدة البلاء، فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى بالفرج، كما قيل: اشتدى أزمة تنفرجى.

قوله ﷺ : «**وإن مع العسر يسراً**» قد جاء في حديث آخر أنه ﷺ قال: «لن يغلب عسر يسرين»[٢] وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين، ولكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت؛ لأن اللام الثانية للعهد، وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت، فالعسر ذكر مرتين معرَّفاً، واليسر مرتين منكَّراً، فكان اثنين، فلهذا قال ﷺ : «لن يغلب عسر يسرين».

---

(١) رواه البخارى (٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤١)، وأبو داود (٢٦٣١) عن عبد الله بن أبى أوفى. وفى الباب عن أبى هريرة رواه البخارى (٣٠٢٦).

(٢) ضعيف: رواه الحاكم (٢/٥٢٨)، وقال الذهبى: مرسل وضعفه الألبانى، انظر «ضعيف الجامع» (٤٧٨٤)، وانظر «كشف الخفاء» للعجلونى (٢٠٧٩).

الحديث العشرون

عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ممَّا أدرَكَ الناسُ من كلام النُّبُوَّةِ الأُولى: إذا لم تَسْتَحِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ**» رواه البخارى.[1]

قوله ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» معناه إذا أردت فعل شىء فإن كان مما لا تستحى من فعله -من الله ولا من الناس- فافعله، وإلا فلا، وعلى هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله، وعلى هذا يكون قوله ﷺ: «**فاصنع ما شئت**»، أمر إباحة، لأن الفعل إذا لم يكن منهياً عنه شرعاً كان مباحاً، ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحى من الله تعالى ولا تراقبه فاعطِ نفسك مناها وافعل ما تشاء، فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة، ويكون كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت: ٤٠)، وكقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤) الآية.

تعليق الشيخ العثيمين:

قال فى الأربعين النووية: الحديث العشرون عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» يعنى: أن من بقايا النبوة الأولى التى كانت فى الأمم السابقة، وأقرتها هذه الشريعة «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» يعنى: إذا لم تفعل فعلاً تُستحى منه فاصنع ما شئت هذا أحد وجهين، أى ففعله فى المعنى الوجه الثانى أن الإنسان إذا لم يستح بصنع ما شاء ولا يبالى وكلا المعنيين صحيح.

يستفاد من هذا الحديث: أن الحياء من الأشياء التى جاءت بها الشرائع السابقة، وأن الإنسان ينبغى له أن يكون صريحاً، فإذا كان الشىء لا يستحى منه فليفعله، وهذا الإطلاق مقيد بما إذا كان فى فعله مفسدة فإنه يمتنع الفعل خوفاً من هذه المفسدة.

---

(١) رواه البخارى (٣٤٨٣، ٣٤٨٤)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣)، وأحمد (٤/ ١٢١، ١٢٢)، والطيالسى (٦٢١)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ٣٧٠) (٨/ ١٢٤)، والبيهقى (١٠/ ١٩٢).

الحديث الحادي والعشرون

عن أبى عمرو -وقيل أبى عمرةَ- سُفيان بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسولَ الله قل لى فى الإسلام قَولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: **«قُلْ آمَنْتُ باللهِ، ثمَّ استقِمْ»** رواه مسلم[1].

قوله ﷺ: **«قل آمنت بالله ثم استقم»** أى كما أمرت ونهيت، والاستقامة ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ (هود:١١٢)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

تعليق الشيخ العثيمين:

الحديث الحادى والعشرون من الأربعين النووية عن أبى عمر، وقيل: أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: **«قل آمنت بالله ثم استقم»** يعنى: قولاً جامعاً واضحاً بيناً لا أسأل أحداً غيرك فيه، فقال له النبى ﷺ: **«قل آمنت بالله ثم استقم»** آمنت بالله هذا بالقلب، والاستقامة تكون بالعمل، فأعطاه النبى ﷺ كلمتين تتضمنان الدين كله فآمنت بالله يشمل إيماناً بكل ما أخبر الله به عز وجل عن نفسه، وعن اليوم الآخر وعن رسله وعن كل ما أرسل به، وتتضمن أيضاً الانقياد، ولهذا قال: **«ثم استقم»** وهو مبنى على الإيمان، ومن ثَمَّ أتى بـ «ثُمَّ» الدالة على الترتيب والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومتى بنى الإنسان حياته على هاتين الكلمتين فهو سعيد فى الدنيا وفى الآخرة.

في هذا الحديث من فوائد: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما ينفعهم فى دينهم ودنياهم.

---

(١) رواه مسلم (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣) (٤/ ٣٨٤، ٣٨٥)، والطيالسي (١٢٣١)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٢١، ٢٢)، والحاكم (٤/ ٣١٣).

الْمَلائِكَةُ﴾ (فصلت: ٣٠) أى عند الموت تبشرهم بقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠)، وفى التفسير أنهم إذا بشروا بالجنة قالوا: وأولادنا ما يأكلون وما حالهم بعدنا؟ فيقال لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (فصلت: ٣١) أى نتولى أمرهم بعدكم، فتقر بذلك أعينهم.

ومنها: عقل أبى عمرو أو أبى عمرة، حيث سأل هذا السؤال العظيم الذى فيه النهاية ويستغنى عن سؤال أى أحد، حيث قال: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك.

ومنها: أنها أجمع وصية وأنفع وصية ما تضمنه هذا الحديث، الإيمان بالله ثم الاستقامة على ذلك بقوله: **«آمنت بالله ثم استقم»**.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإيمان بالله لا يكفى عن الاستقامة، بل لابد من إيمان بالله واستقامة على دينه.

ومنها: أن الدين الإسلامى مبنى على هذين الأمرين، الإيمان ومحله القلب، والاستقامة ومحلها الجوارح، وإن كان للقلب منها نصيب لكن الأصل أنها فى الجوارح. والله أعلم.

الحديث الثاني والعشرون

عن أبي عـبد الله جـابر بن عـبد الله الأنصـاري رضي الله عنهما أن رجلاً سـأل رسـول الله ﷺ فـقال: أرأيـتَ إذَا صَلَّيْتُ المكتـوبات، وصمـتُ رمضـانَ وأحللتُ الحلالَ، وحرَّمْتُ الحرامَ، ولم أزِد على ذلك شيئًا؛ أأدخُلُ الجنة؟ قال: «نعم». رواه مسلم[1] ومـعنى «حرمت الحـرام» اجـتنبـته، ومـعنى «أحللت الحلال» فعلته معتقداً حله.

تعليق الشيخ العثيمين - رحمه الله-:

الحديث الثـانى والعشرون «عن أبي عـبد الله جابر بن عبـدالله الأنصاري رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت» بمعنى: أخبرني.

«**إذا صليت المكتوبات**» بمعنى الفرائض، وهى الفرائض الخمس والجمعة. «**وصمت رمضان**» وهو الشهر الذى بين شـعبان وشوال. «**وأحللت الحلال**» أى فعلته مـعتقداً حله. «**وحرمت الحرام**» أى اجتنبته معتقداً تحريمه. «**ولم أزد على ذلك، أأدخل الجنة؟ قال: «نعم**» رواه مسلم.

فى هذا الحديث يسـأل الرجل رسول الله ﷺ إذا صلى المكتوبات وصـام رمضان وأحل الحلال وحرم الحرام ولم يزد على ذلك شيئاً، هل يدخل الجنة؟ قال: «**نعم**».

وهذا الحديث لم يذكر فيه الزكاة ولم يذكر فيه الحج، فإما أن يقال: إن ذلك داخلاً فى قوله: «**حرمت الحرام**»، لأن ترك الحج حرام وترك الزكاة حرام.

ويمكن أن يقـال: أما بالنسـبة للحج فـربما يكون هذا الحديث قـبل فرضـه، وأما بالنسبـة للزكاة فلعل النبى ﷺ علم من حـال هذا الرجل أنه فقيـر، وليس من أهل الزكاة فخاطبه على قدر حاله.

---

(١) رواه مسلم (١٥)، وأحمد (٣/٣١٦،٣٥٢)، والحاكم (٣/٥٨٩)، والبيهقي.

قوله: «أرأيت.. إلخ» معناه أخبرني، وقوله: «وأحللت الحلال» أي اعتقدته حلالاً وفعلت منه الواجبات. وقوله: «وحرمت الحرام» أي اعتقدته حراماً ولم أفعله. وقوله ﷺ: «**نعم**» أي تدخل الجنة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: حرص الصحابة على سؤال النبي ﷺ.

وفيه: أن الغاية من هذه الحياة هي دخول الجنة.

وفيه: أيضاً أهمية الصلوات المكتوبات، وأنها سبب لدخول الجنة مع باقي ما ذكر في الحديث.

وفيه: أيضاً أهمية الصيام، وفيه وجوب إحلال الحلال وتحريم الحرام، أي أن يفعل الإنسان الحلال معتقداً حله وأن يتجنب الحرام معتقداً تحريمه، ولكن الحلال يخير فيه الإنسان إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله، أما الحرام فلابد أن يتجنبه ولابد أن يصطحب هذا اعتقاداً.

تفعل الحلال معتقداً حله، والحرام تجتنبه معتقداً تحريمه.

ومن فوائد هذا الحديث: أن السؤال معاد في الجواب، فإن قوله: «**نعم**» يعني تدخل الجنة.

«قال النووي -رحمه الله- ومعنى حرمت الحرام: اجتنبته» وينبغي أن يقال: اجتنبته معتقداً تحريمه». والله أعلم.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطُهُورُ شَطْرُ الإيمان و«الحمدُ لله» تملأُ الميزانَ، و«سبحانَ الله والحمدُ لله» تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ بُرْهانٌ، والصَبرُ ضياء، والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ، كلُّ الناسِ يَغْدُو، فبائعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها أو مُوبِقُهَا**»[1] رواهُ مسلم.

قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» فسر الغزالى الطهور بطهارة القلب من الغل

تعليق الشيخ العثيمين -رحمه الله-:

الحديث الثالث والعشرون: عن أبى مالك -الحارث بن عاصم- الأشعرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» بضم الطاء يعنى: الطهارة.

شطر الإيمان أى نصفه، وذلك أن الإيمان تخلى وتحلى، أما التخلى فهو التخلى عن الإشراك، لأن الشرك بالله نجاسة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾.

فلهذا كان الطهور شطر الإيمان، وقيل: إن معناه أن الطهور للصلاة شطر الإيمان، لأن الصلاة إيمان ولا تتم إلا بطهور، لكن المعنى الأول أحسن وأعم.

«**والحمد لله تملأ الميزان**» الحمد لله يعنى: وصف الله تعالى بالمحامد والكمالات الذاتية والفعلية تملأ الميزان، أى ميزان الأعمال، لأنها عظيمة عند الله عز وجل، ولهذا قال النبى ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

«**وسبحان الله والحمد لله**» يعنى الجمع بينهما «**تملأ**» أو قال: «**تملآن ما بين السماء والأرض**» وذلك لعظمهما لاشتمالهما على تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وعلى إثبات الكمال لله عز وجل ففى التسبيح تنزيه الله عن كل نقص وفى الحمد وصف الله تعالى بكل كمال، فلهذا كانتا تملآن ما بين السماء والأرض.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣)، والترمذى (٣٥١٧)، وأحمد (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤)، وأبو عوانة (١/ ٢٢٣)، والحاكم (١/ ١٦٧)، والبيهقى (١/ ١٠).

والحسد والحقد وسائر أمراض القلب، وذلك أن الإيمان الكامل إنما يتم بذلك، فمن أتى بالشهادتين حصل له الشطر، ومن طهر قلبه من بقية الأمراض كمل إيمانه، ومن لم يطهر قلبه فقد نقص إيمانه. قال بعضهم: ومن طهر قلبه وتوضأ واغتسل فقد دخل الصلاة بالطهارتين جميعاً، ومن دخل فى الصلاة بطهارة الأعضاء خاصة فقد دخل الصلاة بإحدى الطهارتين، والله تعالى لا ينظر إلا إلى طهارة القلب؛ لقوله ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»(1).

قوله ﷺ : «**والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ -أو تملآن- ما بين السماء والأرض**» وهذا قد يشكل على الحديث الآخر، وهو أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: «يا رب دلنى على عمل يدخلنى الجنة، قال: يا موسى، قل لا إله إلا الله، فلو وضعت السموات السبع والأرضون السبع فى كفة، ولا إله إلا الله

ثم قال: «**والصلاة نور**» يعنى: أن الصلاة نور فى القلب وإذا استنار القلب استنار الوجه، وهى كذلك نور يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾.

وهى أيضاً نور بالنسبة للاهتداء والعلم وغير ذلك من كل ما فيه النور.

«**والصدقة برهان**» أى دليل على صدق صاحبها، وأنه يحب التقرب إلى الله، وذلك لأن المال محبوب إلى النفوس ولا يصرف المحبوب إلا فى محبوب أشد منه حباً، وكل إنسان يبذل المحبوب من أجل الثواب المرتجى وهو برهان على صحة إيمانه وقوة يقينه.

«**والصبر ضياء**» الصبر بأقسامه الثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله.

«**وضياء**» يعنى نوراً مع حرارة كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾.

---

(1) رواه مسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجه (٤١٤٣)، وأحمد (٢/ ٢٨٤، ٢٨٥، ٥٣٩)، وصححه ابن حبان (٣٩٥)، ورواه أبو نعيم (٤/ ٩٨) (٧/ ١٢٤) عن أبى هريرة.

فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله»(١) ومعلوم أن السموات والأرضين أوسع مما بين السماء والأرض، وإذا كانت الحمد لله تملأ الميزان وزيادة؛ لزم أن تكون الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض، لأن الميزان أوسع مما بين السماء والأرض، والحمد لله تملؤها، والمراد أنه لو كان جسماً لملأ الميزان، أو أن ثواب الحمد لله يملؤها.

قولهﷺ : **«والصلاة نور»** أى ثوابها نور، وفى الحديث: **«بشر المشائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**(٢).

قولهﷺ : **«والصدقة برهان»** أى دليل على صحة إيمان صاحبها، وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه، وذلك أن المنافق قد يصلى ولا تسهل عليه الصدقة غالباً.

والشمس فيها النور والحرارة، والصبر كذلك لأنه شاق على النفس، فهو يعانى منه كما يعانى الإنسان من الحرارة ومن الحار.

«والقرآن حجة لك أو عليك» والقرآن حجة لك، أى عند الله عز وجل أو حجة عليك. فإن عملت به كان حجة لك، وإن أعرضت عنه كان حجة عليك.

ثم بين النبىﷺ أن كل الناس يغدون أى: يذهبون الصباح إلى أعمالهم.

«فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» كل الناس يغدون فيتعبون ويكدحون ويتعبون أنفسهم، فمنهم من يعتق نفسه ومنهم من يوبقها أى يهلكها بحسب عمله، فإن عمل بطاعة الله واستقام على شريعته فقد أعتق نفسه أى حررها من رق الشيطان والهوى، وإن كان العكس فقد أوبقها أى أهلكها.

---

(١) **ضعيف** : رواه النسائى فى «اليوم والليلة» (٨٣٤، ١١٤١)، وأبو يعلى (١٣٨٩)، وصححه ابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، ووافقه الذهبى، ورواه الطبرانى فى «الدعاء» (١٤٨٠)، والبيهقى فى «الأسماء والصفات» ص (١٠٢)، وعزاه الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٨٢) لأبى يعلى وقال: رجاله وثقوا على ضعف فيهم وضعفه شعيب الأرناؤوط فى «تخريج الإحسان فى تقريب ابن حبان».

(٢) **صحيح** : رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وقال: غريب، والرويانى فى «مسنده» (٥٦)، والطبرانى فى «الأوسط» (٤٢٠٧)، عن بريدة، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» (٢٨٢٣)، وفى الباب عن عائشة رواه الطبرانى فى «الأوسط» (١٢٧٥).

قوله ﷺ : «**والصبر ضياء**» أى الصبر المحبوب، وهو الصبر على طاعة الله تعالى والبلاء ومكاره الدنيا، ومعناه لا يزال صاحبه مستمراً على الصواب.

قوله ﷺ : «**كل الناس يغدو فبائع نفسه**» معناه: كل إنسان يسعى لنفسه، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أى يهلكها، قال ﷺ : «من قال حين يصبح أو يمسى: اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ونبيك، أعتق الله ربعه من النار. فإن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار. فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعاً أعتق الله كله من النار»[1] فإن قيل:

ففي هذا الحديث فوائد:

١- الحث على الطهور وبيان منزلته من الدين، وأنه شطر الإيمان.

٢- الحث على حمد الله وتسبيحه، وأن ذلك يملأ الميزان، وأن الجمع بين التسبيح والحمد يملأ ما بين السماء والأرض.

٣- الحث على الصلاة، وأنها نور ويتفرع على هذه الفائدة أنها تفتح للإنسان باب العلم والفقه.

٤- الحث على الصدقة، وبيان أنها برهان ودليل على صدق إيمان صاحبها.

٥- الحث على الصبر وأنه ضياء وأنه يحصل منه مشقة على الإنسان كما تحصل المشقة بالحرارة.

٦- أن القرآن حجة للإنسان أو عليه، وليس هناك واسطة بحيث لا يكون حجة للإنسان أو حجة عليه، بل إما كذا وإما كذا. فنسأل الله أن يجعله حجة لنا نافعاً لنا.

---

(١) **ضعيف**: رواه أبو داود (٥٠٧٨)، والترمذي (٣٤٩٥)، وقال: غريب، ورواه النسائى فى «اليوم والليلة» (٩، ١٠)، وابن السنى فى «اليوم والليلة» (٧٠) عن أنس بن مالك. وضعفه الألبانى انظر «الضعيفة» (١٠٤١).

المالك إذا أعتق بعض عبده سرى العتق إلى باقيه، والله تعالى أعتق الربع الأول فلم يَسْرِ عليه وكذلك الباقى، فالجواب أن السراية قهرية، والله تعالى لا تقع عليه الأشياء القهرية بخلاف غيره، ولا يقع فى حكمه سبحانه ما لا يريد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ (التوبة: ١١١) الآية، قال بعض العلماء: لم يقع بيع أشرف من هذا، وذلك أن المشترى هو الله، والبائع المؤمنون، والمبيع الأنفس، والثمن الجنة، وفى الآية دليل على أن البائع يجبر أولاً على تسليم السلعة قبل أن يقبض الثمن، وأن المشترى لا يُجبر أولاً على تسليم الثمن، وذلك أن الله تعالى أوجب على المؤمنين الجهاد حتى يقتلوا فى سبيل الله، فأوجب عليهم أن يسلموا الأنفس المبيعة ويأخذوا الجنة. فإن قيل: كيف يشترى السيد من عبيده أنفسهم، والأنفس ملك له؟ قيل: كاتَبهم، ثم اشترى منهم، والله تعالى أوجب عليهم الصلوات الخمس والصوم وغير ذلك، فإذا أدوا ذلك فهم أحرار. والله تعالى أعلم.

ومن فوائد هذا الحديث: أن كل الناس لا بد أن يعمل لقوله: **«كل الناس يغدو»** وثبت عن النبى ﷺ أنه قال: **«أصدق الأسماء حارث وهمام»**، لأن كل إنسان حارث وهمام.

ومن فوائد هذا الحديث: أن العامل إما أن يعتق نفسه وإما أن يوبقها. فإن عمل بطاعة الله واجتنب معصيته فقد أعتق نفسه وحررها من رق الشيطان وإن كان الأمر بالعكس فقد أوبقها أى أهلكها.

ومن فوائد هذا الحديث: **أن** الحرية حقيقة هي القيام بطاعة الله وليست إطلاق الإنسان نفسه ليعمل كل شىء أراده قال ابن القيم- رحمه الله- فى النونية:

هربوا من الرق الذي خلقوا له * وبلوا برق النفس والشيطان

فكل إنسان يفر من عبادة الله، فإنه سيبقى فى رق الشيطان ويكون عابداً للشيطان.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: **«يا عبادي، إنى حرَّمتُ الظلمَ على نفسى، وجَعلتُه بينكم مُحَرماً فلا تَظالموا، يا عبادى كلُّكُمْ ضالٌّ إلاَّ مَن هَدَيْتُهُ فاستَهْدُونى أهدكم. يا عبادى كلُّكُم جائعٌ إلاَّ من أطعمتُهُ فاستَطعمُونى أطعمْكم. يا عبادى كلُّكُم عارٍ إلاَّ من كَسوتُهُ فاستكسُونى أكْسُكُمْ. يا عبادى إنَّكُمْ تُخْطئُونَ بالليل والنهار وأنا أغفر الذُّنوبَ جَميعاً فاستَغفرونى أغفر لكُمْ. يا عبادى إنَّكم لن تبلُغُوا ضُرِّى فتضُرونى، ولن تبلغُوا نفعى فتنفعوني. يا عبادى لو أنَّ**

تعليق الشيخ العثيمين:

الحديث الرابع والعشرون: عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل وهذا الحديث وأشباهه يسمى الحديث القدسى، لأنه يرويه النبى ﷺ عن الله قال: **«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً»** فبين الله عز وجل فى هذا الحديث أنه حرم الظلم على نفسه فلا يظلم أحداً لا بزيادة سيئة ولا بنقص حسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾.

«وجعلته بينكم محرماً» أى جعلت الظلم بينكم محرماً، فيحرم عليكم أن يظلم بعضكم بعضاً، ولهذا قال: **«فلا تظالموا»** والفاء للتفريع على ما سبق **«يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»** العباد كلهم ضال فى العلم وفى العمل إلا من هداه الله عز وجل، وإذا كان الأمر كذلك فالواجب طلب الهداية من الله، ولهذا قال: **«فاستهدوني أهدكم»** أى اطلبوا الهداية منى أهدكم، والهداية هنا تشمل هداية العلم وهداية التوفيق، **«يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم»** وهذه كالتى قبلها بين سبحانه وتعالى أن العباد كلهم جياع إلا من أطعمه الله ثم يطلب من عباده أن يستطعموه ليطعمهم وذلك لأن الذى يخرج الزرع ويدر الضرع هو سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ثم المال الذى يحصل به الحرث هو لله عز وجل.

أَوَّلكم وآخرَكَم وإنسَكم وجنَّكم كَانُوا على أتقى قلبِ رَجُلٍ واحد منكم ما زَادَ ذلكَ فى مُلكى شيئاً. يا عبادى لو أنَّ أوَّلكم وآخِركم وإنسكَم وجِنَّكم كَانوا على أفْجَرِ قلبِ رَجُلٍ واحد منكم ما نَقَصَ ذلكَ من مُلكى شيئاً. يا عبادى لو أنَّ أوَّلكم وآخركَم وإنْسَكم وجِنَّكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيتُ كلَّ واحد مسألَتَهُ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عندى إلاَّ كما ينقُصُ المِخيطُ إذا أُدخل البحرَ، يا عبادى إنما هىَ أَعمالُكم أحْصيها لكم ثمَّ أوَفّيكم إيَّاهَا، فمن وجَدَ خيراً فَلْيَحْمَدِ الله، ومَن وجدَ غيرَ ذلكَ فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه»[١] رواه مسلم.

«**يا عبادي، كلكم عار**» أى قد بدت عورته إلا من كساه الله ويسر له الكسوة، ولهذا قال: «**إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم**» اطلبوا منى الكسوة أكسكم، لأن كسوة بنى آدم مما أخرجه الله تعالى من الأرض، ولو شاء الله تعالى لم يتيسر ذلك.

«**يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**»، وهذا كقوله ﷺ فى الحديث الصحيح: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**» فالناس يخطئون ليلاً ونهاراً أى يرتكبون الخطأ وهو مخالفة أمر الله ورسوله بفعل المحظور أو ترك المأمور، ولكن هذا الخطأ، له دواء -ولله الحمد- وهو قوله: «**فاستغفروني أغفر لكم**» أى اطلبوا مغفرتى أغفر لكم، والمغفرة: ستر الذنب مع التجاوز عنه.

«**يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»، لأن الله سبحانه وتعالى غنى عن العالمين ولو كفر كل أهل الأرض فلن يضروا الله شيئاً، ولو آمن كل أهل الأرض فلن ينفعوا الله شيئاً، لأنه غنى بذاته عن جميع مخلوقاته.

«**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا**»، لأن طاعة الطائع إنما تنفع الطائع نفسه أما الله عز وجل فلا ينتفع بها لأنه غنى عنها فلو كان الناس كلهم على أتقى قلب رجل واحد ما زاد

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)، والترمذي (٢٤٩٥)، وابن ماجه (٤٢٥٧)، وأحمد (٥/ ١٦٠)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٤٩٠)، والطيالسى (٤٦٣)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية شرح جليل لهذا الحديث طبع مستقلاً.

قـوله عـز وجل: «**إني حـرمت الظلـم عن نفـسى**» أى تقـدست عنه، والظلم مستحـيل فى حق الله تعالى، فإن الظلم مجاوزة الحد والتـصرف فى ملك الغير وهما جميعاً مُحالٌ فى حق الله تعالى.

قوله تعالى: «**فلا تظالموا**» أى فلا يظلم بعضكم بعضاً.

ذلك فى ملك الله شيئاً، «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخـركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجـر قلب رجل واحد منكم مـا نقص ذلك في ملكي شيـئاً**» وذلك لأن الله غنى عنا، فلو كان الناس والجن على أفجر قلب رجل واحـد ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً، «**يا عـبادي، لو أن أولكم وآخـركم وإنسكم وجنكم قـاموا في صـعـيد واحـد فسـألوني فـأعطيت كل واحـد مسـألتـه ما نقص ذلك ممـا عندي إلا كمـا ينقص المخـيط إذا أدخل البحر**» وذلك لكمال جوده وكرمه وسعة مـا عنده، فإنه لو أعطى كل إنسان مسألته لم ينقصه شيئاً، وقوله: «**إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**» وهذا من باب تأكيد عدم النقص، لأنه من المعلوم أن المخيط إذا أدخل فى البحر ثم نزع منه فإنه لا ينقص البحر شيئاً لأن البلل الذى لحق هذا المخيط ليس بشيء.

«**يا عبادي، إنمـا هي أعمالكم أحصيـها لكم**» أى أعدها لكم وتكتب على الإنسان، «**ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خـيراً فليحمد الله ومن وجد غيـر ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» ومع هذا فإنه سبـحانه يجزى الحسنة بعشـرة أمثالها إلى سبـعمائة إلى أضعاف كـثيرة ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح فيما دون الشرك والله أعلم، وهذا حديث عظيم حديث أبى ذر الغـفارى ﷺ فيـما يرويه ﷺ عن ربه تبارك وتعـالى أنه قال: «**إني حرمت الظلم على نفسي**» وقد شرحه شيخ الإسلام رحمـه الله فى رسالة جيدة، كما شرحه ابن رجب ضمن الأحاديث الأربعين النووية.

وفـيـه من الفـوائد: أولاً: رواية النبىﷺ عن ربه وهو مـا يسمـيـه أهل العلم بالحديث القدسى.

قوله: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**» بفتح التاء والطاء على أنه من خطئ بفتح الخاء وكسر الطاء يخطأ فى المضارع، ويجوز فيه ضم التاء على أنه من أخطأ، والخطأ يستعمل فى العمد والسهو، ولا يصح إنكار هذه اللغة، ويرد عليه تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٣١) بفتح الخاء والطاء، وقرئ ﴿خِطْئًا كَبِيرًا﴾ أيضاً.

قوله تعالى: «**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم.. إلخ**» دلت الأدلة السمعية والعقلية على أن الله مستغنٍ فى ذاته عن كل شيء، وأنه تعالى لا يتكثر بشيء من مخلوقاته، وقد بيَّن الله تعالى أن له ملك السموات والأرض وما بينهما. ثم

ومن فوائده: أن الله عز وجل حرم الظلم على نفسه لكمال عدله جل وعلا، فهو قادر على أن يظلم، قادر على أن يبخس المحسن من حسناته، وأن يضيف إلى المسيء أكثر من سيئاته ولكنه لكمال عدله حرم ذلك على نفسه جل وعلا.

ومن فوائده: أن الظلم بيننا محرم، وقد بين الرسول ﷺأنه يكون فى الدماء والأموال والأعراض قال -عليه الصلاة والسلام- فى منى يوم العيد: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

ومن فوائد هذا الحديث: أن الأصل فى الإنسان الضلال والجهل لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ وقوله فى هذا الحديث: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**». والأصل فيه أيضاً الغى والظلم.

ومن فوائده: وجوب طلب الهداية من الله لقوله تعالى فى الحديث: «**استهدوني أهدكم**».

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان بل كل العباد جائعون مضطرون إلى الطعام إلا من أطعمه الله عزوجل، ويترتب على هذه الفائدة سؤال الإنسان ربه واستغناؤه بسؤال الله عن سؤال عباد الله، ولهذا قال: «**فاستطعموني أطعمكم**» يعنى اطلبوا منى الطعام أطعمكم.

ومن فوائد هذا الحديث: أن العباد عراة إلا من كساه الله عز وجل ويسر له الكسوة وسهلها له، ولهذا قال: «**فاستكسوني أكسكم**» أى اطلبوا منى الكسوة أكسيكم، وإنما ذكر الله عز وجل العرى بعد ذكر الطعام، لأن الطعام كسوة الداخل واللباس كسوة للظاهر.

بيَّن أنه مستغنٍ عن ذلك، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (القصص:٦٨)، وهو قادر على أن يُذهب هذا الوجود ويخلق غيره، ومن قدر على أن يخلق كل شيء فقد استغنى عن كل موجود. ثم بيَّن سبحانه وتعالى أنه مستغنٍ عن الشريك، فقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (الإسراء:١١١) ثم بيَّن سبحانه وتعالى أنه

ومن فوائد هذا الحديث: أن بنى آدم خطاء يخطئون كثيراً فى الليل والنهار، ولكن هذا الخطأ يقابله مغفرة الله عز وجل لكل ذنب، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ .

ويترتب على هذا أن الإنسان يعرف قدر نفسه، فكلما أخطأ استغفر الله عز وجل.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الذنوب مهما كثرت فإن الله تعالى يغفرها إذا استغفر الإنسان ربه، لقوله تعالى فى هذا الحديث القدسى: «**وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**».

وقوله ﷺ : «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» وذلك لأن الله سبحانه وتعالى مستغن عن جميع خلقه، ومن أسمائه العزيز وهو الذى عز أن يناله ضرر، وكذلك هو الغنى الحميد فلا حاجة إلى أن يسعى أحد لنفعه ولن يبلغ أحد ضرره لكمال غناه جل وعلا.

«**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً**» وذلك لكمال غناه عز وجل فلو كان الناس كلهم من إنس وجن على أتقى قلب رجل واحد، فإن ذلك لا يزيد من ملك الله شيئاً، لأن الله غنى عنهم.

«**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**» وذلك لكمال غناه فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين والمقصود من هاتين الجملتين: الحث على طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته.

مستغنٍ عن المعين والظهير، فقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ (الإسراء:١١١) فوصف العز ثابت له أبداً، ووصف الذل منتف عنه تعالى، ومن كان كذلك فهو مستغنٍ عن طاعة المطيع، ولو أن الخلق كلهم أطاعوه كطاعة أتقى رجل منهم وبادروا إلى أوامره ونواهيه ولم يخالفوه لم يتكثر سبحانه وتعالى بذلك، ولا يكون ذلك زيادة فى ملكه، وطاعتهم إنما حصلت بتوفيقه وإعانته، وطاعتهم نعمة منه عليهم، ولو أنهم كلهم عصوه كمعصية أفجر رجل -وهو إبليس- وخالفوا أمره ونهيه لم يضره ذلك، ولم ينقص من كمال ملكه شيئاً، فإنه لو شاء أهلكهم وخلق غيرهم، فسبحان مَنْ لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

قوله تعالى: **«فأعطيت كل أحد مسألته ما نقص ذلك من ملكى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»** ومعلوم أن المخيط -وهو الإبرة-، وذلك فى المشاهدة لا ينقص من البحر شيئاً، والذى يتعلق بالمخيط لا يظهر له أثر فى المشاهدة ولا فى الوزن.

قوله تعالى: **«ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»** حيث أعطاها مناها واتبع هواها.

«يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» وذلك لكمال غناه جل وعلا وسعته، **فيستفاد من هذه الجملة:** أن الله سبحانه وتعالى واسع الغنى والكرم.

وقوله: «إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» سبق لنا أن المقصود بذلك المبالغة فى أن ذلك لا ينقص الله شيئاً.

وقوله: «يا عبادي، إنما هى أعمالكم....إلخ» فيستفاد منها: الحث على العمل الصالح حتى يجد الإنسان الخير.

ومن فوائده أيضاً: أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئاً.

ومن فوائده: أن العاصى سوف يلوم نفسه إذا كان فى وقت لا ينفعه اللوم ولا الندم لقوله: **«ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».**

الحديث الخامس والعشرون

عن أبى ذر رضي الله عنه أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبى ﷺ : يا رسولَ الله ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأجُور، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّى ويصومون كما

تعليق الشيخ العثيمين:

الحديث الخامس والعشرون أيضاً:

يعنى بالإضافة إلى الحديث السابق القدسى أن أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله -وهؤلاء فقراء- ذهب أهل الدثور بالأجور يعنى: أهل الأموال ذهبوا بالأجور، يعنى اختصوا بها.

«يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم» فهم شاركوا الفقراء فى الصلاة والصوم وفضلوهم فى الصدقة.

فقال النبي ﷺ : **«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون....إلخ»**.

لما اشتكى الفقراء إلى رسول الله ﷺ أنه ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما يصلون ويصومون كما يصومون ويتصدقون بفضول أموالهم يعنى والفقراء لا يتصدقون. بين لهم النبي ﷺ الصدقة التى يطيقونها فقال: **«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به، إن بكل تسبيحة صدقة»** يعنى أن يقول الإنسان: سبحان الله صدقة **«وكل تكبيرة صدقة»** يعنى إذا قال: الله أكبر فهذه صدقة **«وكل تحميدة صدقة»** يعنى إذا قال: الحمد لله فهذه صدقة **«وكل تهليلة صدقة»** يعنى إذا قال: لا إله إلا الله فهذه صدقة **«وأمر بالمعروف»** يعنى إذا أمر شخصاً أن يفعل طاعة فهذه صدقة **«ونهياً عن منكر»** يعنى إذا نهى شخصاً عن منكر فإن ذلك صدقة **«وفى بضع أحدكم صدقة»** يعنى إذا أتى الرجل زوجته فإن ذلك صدقة وكل هذا يطيقه الفقراء، قالوا: يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، ذكروا ذلك لتقرير قوله ﷺ : **«وفي بضع أحدكم صدقة»** وليس للشك فى هذا، لأنهم يعلمون أن ما قاله النبي ﷺ فهو حق

نصوم ويتصدَّقونَ بفضولِ أموالهم، قال: «**أوَليس قد جعلَ الله لكم ما تَصَدَّقون إنَّ بكلِّ تسبيحَة صـدقةً وكلِّ تكبيرةٍ صدقة، وكُلِّ تَحْميدة صَـدَقة، وكلِّ تهليلة صدقة وأمرٍ بمعروف صدقة، ونهي عن مُنكَرٍ صَدَقة، وفى بُضْعِ أحدِكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله أيأتى أحَدُنَا شَهْوَتَهُ ويكونُ لهُ فيها أجْرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها فى حَرام أكانَ عليه وِزْرٌ، فكذلكَ إذَا وضعها فى الحَلال كان له أجرٌ**» رواه مسلم.[1]

لكن أرادوا أن يقرروا ذلك فقـالوا: يا رسول **الله**، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فـيها أجر؟ ونظير ذلك قول زكريا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ أراد أن يقرر ذلك ويثبته مع أنه مصدق به.

قال: «**أرأيتم لو وضعها فـي حرام أكان عليه وزر؟**» والجواب: نعم يكون عليه وزر قال: «**فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**». وهذا القياس يسمونه قياس العكس يعنى كما أن عليه وزراً فى الحـرام يكون له أجراً فى الحلال فقال ﷺ إذا وضعها فى الحلال كان له أجرٌ.

في هذا الحديث من الفوائد:

أولاً: حرص الصحابة ﷺ على السبق إلى الخيرات.

ثانياً: ينبغى للإنسـان إذا ذكر شيئاً أن يـذكر وجهه لأن الصحـابة لما قالوا: «**ذهب أهل الدثور بالأجور**» بينوا وجه ذلك فقالوا: «**يصلون كما نصلي.. إلخ**».

ثالثًا: أن كل قول يقرب إلى الله فهو صـدقة كالتسبيح والتحميـد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكله صدقة.

رابعًا: الترغيب فى الإكثار من هذه الأذكار، لأن كل كلمـة منه تعتبر صدقة تقرب المرء إلى الله عز وجل.

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦،٧٢٠)، وأبو داود (٥٢٤٤،٥٢٤٣)، وأحمد (١٦٨،١٦٧/٥)، وصـححه ابن حـبان (٨٣٨) «الإحسان»، وفى الباب عن أبى هريرة رواه البخارى (٦٣٢٩،٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

قوله: «قالوا: يا رسـول الله أيأتى أحدنا شهوته وله فيهـا أجر؟ قال: **أرأيتم لو وضعـها فى الحرام أكـان عليه وزر؟**» اعلم أن شهـوة الجماع شهـوة أحبها الأنبـياء والصالحون، قالـوا: لما فيها من المصالح الدينية والدنيـوية، من غض البصر، وكسر الشهوة عن الزنا، وحصـول النسل الذى تتم به عمارة الدنيا، وتكثر به الأمة إلى يوم القيامة. قالوا: وسائر الشـهوات يقسى تعاطيها القلب، إلا هذه فإنها ترقق القلب.

خامسًا: إن الاكتـفاء بالحلال عن الحرام يجـعل الحلال قربة وصدقـة لقوله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**».

سادسًا: جواز الاستثبات فى الخبر ولو كان صادراً من صادق لقولهم: «**أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟**».

سابعًا: حسن تعليم الرسول ﷺ بإيراد كلامه على سـبيل الاستفـهام حتى يقنع المخاطب بذلك ويطمئن قلبه، ومن هذا قـوله -عليه الصلاة والسلام- حين سئل عن بيع الرطب بالتمر: «**أينقص إذا جف؟**» قالوا: نعم، فنهى عن ذلك.

الحديث السادس والعشرون

عن أبى هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«كلُّ سُـلامى من الناس عليـه صدقةٌ كلَّ يومٍ تَطلع فيه الشمسُ، تعْدلُ بينَ اثـنين صدقة، وتُعينُ الرَّجُلَ فى دابَّته فتحملُهُ عليهـا أو ترفعُ له عليها مـتاعَه صدقـةَ، والكلمةُ الطيبـةُ صدقة، وبكلِّ خطوة تمشيـها إلى الصَّلاة صدقة، وتميطُ الأذى عن الطَّريق صدقة»** رواه البخارى ومسلم.(١)

تعليق الشيخ العثيمين:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل سلامى من الناس عليـه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس»** «كل سلامى»: أى كل عضو ومفصل من الناس عليه صدقة، **«كل يوم تطلع فيـه الشمس»** أى عليه صدقـة فى كل يوم تطلع فيه الشـمس فقوله: **«كل سلامى»** مبتدأ و**«عليه صدقة»** جملة خبـر المبتدأ و**«كل يوم»** ظرف، والمعنى أنه كلما جاء يوم صار على كل مفصل من مفاصل الإنسان صدقة يوديها شكراً لله تعالى على نعمة العافية وعلى البقاء، ولكن هذه الصدقة ليست صدقة المال فقط بل هى أنواع.

«تعدل بين اثنين صدقة» أى تجد اثنين متخاصمين فتحكم بينهما بالعدل فهذه صدقة وهى من أفضل الصدقات لـقوله تبارك وتعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

«وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع لـه عليها متاعه صدقة» وهذا أيضاً من الصدقـات أن تعين أخاك المسلم فى دابتـه إما أن تحمله عليـها إن كـان لا يستطيع أن يحمل نفسه أو ترفع له على دابته متاعه يعنى «عفشه» هذا أيضاً لأنها إما إحسان والله يحب المحسنين.

«والكلمة الطيبة صدقة» الكلمة الطيبة، كل كلمة تقرب إلى الله كالتسبيح والتهليل والتكبيـر والتحمـيد والأمر بالمـعروف والنهى عن المنكر وقراءة القـرآن وتعليم العلم، وغير ذلك كل كلمة طيبة فهى صدقة.

«وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة فإنها صدقة» وقد ثبت فى «الصحيحين» من حديث

(١) رواه البخارى (٢٧٠٧، ٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)، وأحمد (٢/ ٣١٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٥٠)، والبيهقي (٤/ ١٨٧)، والبغوي (١٦٤٥)، وصححه ابن حبان (٣٣٨١) «الإحسان».

قوله ﷺ : «**كل سلامى من الناس عليه صدقة**» السلامى: أعضاء الإنسان، وذكر أنها ثلاثمائة وستون عضواً، على كل عـضو منها صدقة كل يوم، وكل عمل بر من تسبـيح أو تهليل أو تكبير أو خـطوة يخطوها إلى الصلاة صدقـة، فمن أدى هذه الصدقة فى أول يومه فقد أدى زكاة بدنه فيحفظ بقيته. وجاء فى الحديث أن ركعتين من الضحـى تقوم مقام ذلك[1] وفى الحديث: يقـول الله تعالى: «**يا بن آدم، صلِّ لى أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره**».[2]

أبى هريرة أن الإنسان: «**إذا توضأ فى بيته وأسبغ الوضوء ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لا يخطو خطوة إلا رفع الله له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة**».

«**وتميط الأذى عن الطـريق صـدقـة**» إمـاطة الأذى يعنى: إزالة الأذى عن الطريق، والأذى ما يؤذى المارة من ماء أو حـجر أو زجاج أو شوك أو غيـر ذلك، وسواء أكان يؤذيهم من الأرض أو يؤذيهم من فوق كمـا لو كان هناك أغصان شجرة مـتدلية تؤذى الناس فأماطها فإن هذه صدقة.

وفي هذا الحديث فوائد منها:

١- أن كل إنسان عليه صـدقة كل يوم تطلع فيه الشمس على عدد مـفاصله، وقد قيل إن المفاصل ثلاثمائة وستون مفصلاً - والله أعلم-.

٢- أن كل ما يقرب إلى الله من عـبادة وإحسان إلى خلقه فإنه صـدقة، وما ذكره النبي ﷺ فهو أمثلة على ذلك وقد جاء فى حديث آخر: «**أنه يجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**».

---

(١) جاء ذلك فى حديث بريدة بن الحصيب مرفوعاً: «**فى الإنسان ستون وثلاث مئة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة**» قالوا ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: «**النخاعة تراها فى المسجد فتدفنها، أو الشىء تنحيه عن الطريق فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزيانك**» رواه أبو داود (٥٢٤٢)، وأحمد (٥/ ٣٥٤،٣٥٩)، والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٩٩)، وصححه ابن حبان (١٦٤٢) «الإحسان».

(٢) صـحـيح: رواه أبو داود (١٢٨٩)، وأحـمـد (٥/ ٢٨٧)، والدارمي (١/ ٣٣٨)، وصـحـحـه ابن حبـان (٢٥٣٣، ٢٥٣٤) «الإحسان»، عن نعيم بن همـار وفى الباب عن أبى الدرداء وأبى ذر رواه الترمذي (٤٧٥)، وأحمد (٦/ ٤٤٠، ٤٥١، ٤٥١)، وصححه الألباني، انظر «الإرواء» (٤٦٥).

الحديث السابع والعشرون

عن النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«البرُّ حُسْنُ الخُلق، والإثمُ ما حاكَ في نَفْسكَ وكرهتَ أن يَطَّلِعَ عليه الناسُ»** رواه مسلم[1].

وعن وَابصَةَ بن مَعْبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: **«جئتَ تَسْألُ عن البرّ؟»** قلت: نعم، قال: **«استَفْتِ قلبَكَ: البرُّ ما اطْمَأنَّتْ إليه النفسُ، واطمأنَّ إليه القلبُ. والإثمُ ما حاكَ في النَّفْسِ وتردَّدَ في الصدرِ، وإن أفتاكَ الناسُ وأفتوكَ»**[2] حديث حسن رويناه في «مسندي الإمامين أحمد بن حنبل، والدارمي» بإسناد حسن.

قوله ﷺ: **«البر حسن الخلق»**، وقد تقدم الكلام في حسن الخلق، قال ابن عمر: البر أمر هين: وجه طلق، ولسان لين. وقد ذكر الله تعالى آية جمعت أنواع البر فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: ١٧٧).

تعليق الشيخ العثيمين:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«البر حسن الخلق»** البر كلمة تدل على الخير وكثرة الخير، وحسن الخلق يعني أن يكون الإنسان واسع البال، منشرح الصدر، مطمئن القلب، حسن المعاملة، فيقول النبي ﷺ: إن البر حسن الخلق، فإذا كان الإنسان حسن الخلق مع الله ومع عباد الله حصل له الخير الكثير، وانشرح صدره للإسلام واطمأن قلبه بالإيمان وخالق الناس بخلق حسن، وأما الإثم فبينه النبي -عليه الصلاة والسلام- بأنه **«ما حاك في نفسك»** وهو يخاطب النواس بن سمعان، والنواس ابن سمعان صحابي جليل فلا يحيك في نفسه ويتردد في نفسه ولا تأمنه النفس إلا ما كان إثماً، ولهذا قال: **«ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»**، وأما أهل الفسق والفجور فإن الآثام لا تحيك بنفوسهم ولا يكرهون أن يطلع عليها الناس، بل بعضهم يتبجح ويخبر بما يصنع من الفجور والفسق، ولكن الكلام مع الرجل المستقيم

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩)، وأحمد (٤/ ١٨٢)، والدارمي (٢/ ٣٢٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٥، ٣٠٢)، والحاكم (٢/ ١٤)، والبيهقي (١٠/ ١٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٢٧، ٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٩٢).

قوله ﷺ : «**والإثم ما حاك فى نفسك**» أى اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله. وفى الحديث دليل على أن الإنسان يراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شىء، فإن اطمأنت إليه النفس فعله، وإن لم تطمئن تركه، وقد تقدم الكلام على الشبهة فى حديث: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن»(1) ويروى أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا، منها أنه قال: إذا أردتم فعل شىء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه، فإنى لما دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل، ومنها أنه قال: إذا أردتم فعل شىء فانظروا فى عاقبته، فإنى لو نظرت فى عاقبة الأكل ما أكلت من الشجرة. ومنها أنه قال: إذا أردتم فعل شىء فاستشيروا الأخيار، فإنى لو استشرت الملائكة لأشاروا عليَّ بترك الأكل من الشجرة.

قوله ﷺ : «**وكرهت أن يطلع عليه الناس**» لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة، وعلى أخذها، وعلى نكاح امرأة قد قيل إنها رضعت معه، ولهذا قال ﷺ : «**كيف وقد قيل**»(2)؟ وكذلك الحرام إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع

فإنه إذا هَمَّ بسيئة حاك ذلك فى نفسه وكره أن يطلع الناس على ذلك، وهذا الميزان الذى ذكره النبى -عليه الصلاة والسلام- إنما يكون مع أهل الخير والصلاح، ومثل الحديث عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقال: «**جئت تسأل عن البر؟**» قلت: نعم، قال: «**استفت قلبك**» يعنى لا تسأل أحداً واسأل قلبك واطلب منه الفتوى، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، فمتى وجدت نفسك مطمئنة وقلبك مطمئن إلى شىء فهذا هو البر فافعله «**والإثم ما حاك فى نفسك**» فى النفس و«**تردد فى الصدر**»، فإذا رأيت هذا الشىء حاك فى نفسك وتردد فى صدرك فهو إثم قال: «**وإن أفتاك الناس وأفتوك**» يعنى: إن أفتاك الناس بأنه ليس فيه إثم وأفتوك مرة بعد أخرى، وهذا يقع كثيراً تجد الإنسان يتردد فى الشىء ولا يطمئن إليه ويتردد فيه ويقول له الناس: هذا حلال وهذا لا بأس به، لكن لم ينشرح صدره بهذا ولم تطمئن إليه نفسه فيقال: مثل هذا إنه إثم فاجتنبه.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه البخارى (٨٨، ٢٦٤٠، ٢٦٥٩، ٢٦٦٠)، وأحمد (٤/٨)، والحميدى (٥٧٩)، والدارمى (٢/١٥٧-١٥٨)، والدارقطنى (٤/١٧٧)، والبيهقى (٧/٤٦٣).

عليه الناس. ومثال الحرام الأكل من مال الغير، فإنه يجوز إن كان يتحقق رضاه: فإن شك فى رضاه حرم الأكل. وكذلك التصرف فى الوديعة بغير إذن صاحبها، فإن الناس إذا اطلعوا علـى ذلك أنكروه عليه، وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه.

قوله ﷺ: **«والإثم ما حـاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفـتوك»** مثاله الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام، وترددت النفس فى حلها، وأفتاك المفتى بحل الأكل، فإن الفتوى لا تزيل الشـبهة، وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانة، فإن المفتى إذا أفتاه بجـواز نكاحها لعدم استكمال النصاب لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة، بل ينبغى الورع وإن أفتاه الناس. والله أعلم.

ومن فوائد هذا الحـديث والذي قبله: فضـيلة حسن الخلق، حيـث جعل النبي ﷺ حسن الخلق هو البر.

ومن فوائده أيضاً: أن ميزان الإثم أن يحيك بالنفس ولا يطمئن إليه القلب.

ومن فوائده: أن المؤمن يكره أن يطلع الناس على عيـوبه بخلاف المستـهتر الذى لا يبالي، فإنه لا يهتم إذا اطلع الناس على عيوبه.

ومن فوائدهما: فراسة النبي ﷺ حيث أتى إليه وابصة فقال: **«جئت تسأل عن البر؟»**.

ومن فوائدهما: إحالة حكم الشيء إلى النفس المطمئنة التي تكره الشر وتحب الخير، لقوله: **«البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب»**.

ومن فوائد الحديثين أيضاً: أن الإنسان ينبغى له أن ينظر إلى ما يكون فى نفسه دون ما يفتيـه الناس به فقد يفتيه الناس الذين لا علم لهم بشىء لكـنه يتردد فيه، ويكرهه فمثل هذا لا يرجع إلى فتوى الناس له وإنما يرجع إلى ما عنده.

ومن فوائدهما: أن متى أمكن الاجتهاد فإنه لا يعدل إلى التقليد لقوله: **«وإن أفتاك الناس وأفتوك»**.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي نجيح العِرْباض بنِ ساريةَ ﷺ قال: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَتْ منها القلوبُ، وذرفت منها العُيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مُوَدِّعٍ فأوصنا، قال: «**أُوصِيكُمْ بتقوى الله عزَّ وجلَّ والسَّمْعِ والطَّاعة وإن تأمَّرَ عليْكُمْ**

تعليق الشيخ العثيمين:

قوله: «وعظنا» الوعظ: هو التذكير المقرون بالترغيب أو الترهيب، وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكثر عليهم مخافة السآمة، قوله: «وجلت منها القلوب» أي خافت.

«وذرفت منها العيون» أي بكت حتى ذرفت دموعها، «فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا»، لأن موعظة المودع تكون موعظة بالغة قوية فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل**». وهذا من فقه الصحابة ﷺ أنهم استغلوا هذه الفرصة ليوصيهم النبي ﷺ بما فيه الخير، قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل**»، وتقوى الله اتخاذ وقاية من عقابه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا حق الله عز وجل، «**والسمع والطاعة**» يعني لولاة الأمور، أي: اسمعوا ما يقولون وما به يأمرون واجتنبوا ما عنه ينهون، «**وإن تأمر عليكم عبد**» يعني وإن كان الأمير عبداً فاسمعوا له وأطيعوه، وهذا هو مقتضى عموم الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء:٥٩).

قوله: «**فإنه من يَعِش منكم**» أي: مَنْ تطول حياته فسيرى اختلافاً كثيراً، ووقع ذلك كما أخبر النبي ﷺ فقد حصل الاختلاف الكثير في زمن بقية الصحابة ﷺ، ثم أمر ﷺ بأن نلتزم بسنته، أي: بطريقته وطريقة الخلفاء الراشدين المهديين، وهم الخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته علماً وعبادة ودعوة، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ.

«**المهديين**» وصف كاشف، لأن كل راشد فهو مهدى، ومعنى «**المهديين**» الذين هدُوا، أي هداهم الله عز وجل لطريق الحق. «**عضُّوا عليها بالنواجذ**» وهي أقصى الأضراس، وهو كناية عن شدة التمسك بها، ثم حذر النبي ﷺ من محدثات الأمور، فقال: «**إياكم**» أي: أحذركم من محدثات الأمور، وهي ما أُحدث في الدين

عَبْدٌ، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكم فسيرَى اخْتلافاً كثيراً، فعليكُمْ بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذ. وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمُورِ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضَلَالة»[1].
رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

بلا دليل شرعي، وذلك أنه لما أمر بلزوم السنة حذَّر من البدعة، وقال: «**فإن كل بدعة ضلالة**» (رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

وفي هذا الحديث فوائد منها: حرص النبي ﷺ على موعظة أصحابه، حيث يأتي بالمواعظ المؤثرة التي توجل منها القلوب، وتذرف منها العيون.

ومنها: أن الإنسان المودِّع الذي يريد أن يغادر إخوانه ينبغي له أن يعظهم موعظة تكون ذكرى لهم، موعظة مؤثرة بليغة، لأن المواعظ عند الوداع لا تُنسى.

ومنها: الوصية بتقوى الله عز وجل، فهذه الوصية هي وصية الله في الأولين والآخرين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

ومنها: الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور، وقد أمر الله بذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وهذا الأمر مشروط بأن لا يأمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة في معصية الله؛ لقول النبي ﷺ «**إنما الطاعة في المعروف**» ومن هنا نتبين الفائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ حيث لم يُعِد الفعل عند ذكر طاعة أولياء الأمور، بل جعلها تابعة لطاعة الله ورسوله.

ومن فوائد هذا الحديث: حرص النبي ﷺ على موعظة أصحابه، كما أنه حريص على أن يعظهم أحياناً بتبليغهم الشرع، فهو أيضاً يعظهم مواعظ ترقق القلوب وتؤثر فيها.

---

(1) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٤٣، ٤٤)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٧، ٣٢، ٥٤، ٥٧)، والآجري في «الشريعة» (٤٦، ٤٧)، والدارمي (١/ ٤٤)، والحاكم (١/ ٩٥)، والبيهقي (٦/ ٥٤١).

قوله: «وعظنا» الوعظ هو التخويف، و«ذرفت منها العيون» أى بكت ودمعت.

قولهﷺ : «عليكم بسنتي» أى عند اختلاف الأمور الزموا سنتى، « **وعضوا عليها بالنواجذ**» أى مؤخر الأضراس، وقيل: الأنياب. والإنسان متى عض

ومنها: أنه ينبغى للواعظ أن يأتى بموعظة مؤثرة فى الأسلوب وكيفية الإلقاء، ولكن بشرط ألا يأتى بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، لأن بعض الوعاظ يأتى بالأحاديث الضعيفة والموضوعة يزعم بأنها تفيد فى تحريك القلوب، ولكنها وإن أفادت فى هذا تضر، فقد ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين**».

ومنها -من فوائد هذا الحديث-: أن العادة إذا أراد النبي أن يفارق أصحابه وإخوانه؛ فإنه يعظهم موعظة بليغة، لقوله: «كأنها موعظة مودع».

ومنها -أي من فوائد هذا الحديث-: طلب الوصية من أصحاب العلم.

ومنها: أنه لا وصية أفضل ولا أكمل من الوصية بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، وتقوى الله سبق شرحها.

ومنها: الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور وإن كانوا عبيداً؛ لقولهﷺ : «والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ»؛ لأن السمع والطاعة لهم ينتفى بهما شرور كثيرة وفوضى عظيمة.

ومن فوائد الحديث: ظهور آية من آيات الرسول ﷺ حيث قال: «من يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»، والذين عاشوا من الصحابة رأوا اختلافاً كثيراً، كما يُعْلم ذلك من التاريخ.

ومن فوائد الحديث: لزوم التمسك بسنة الرسول ﷺ لاسيما عند الاختلاف والتفرق، ولهذا قال: «**فعليكم بسنتي**».

بنواجذه كأنه يجمع أسنانه، فيكون مبالغة. فمعنى العض على السُّنة الأخذ بها، وعدم اتباع آراء أهل الأهواء والبدع. و«عضوا» فعل أمر من عض يعض وهو بفتح العين، وضمها لحَنٌ، ولذلك تقول: بِر أمك يا زيد، لأنه من بر يبر، ولا تقول بُر أمك بضم الباء.

قوله ﷺ: «**وسنة الخلفاء الراشدين**» يريد الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

ومنها: أنه ينبغي التمسك الشديد حتى يعض عليها بالنواجذ، لئلا تفلت من الإنسان.

ومن فوائد الحديث: التحذير من محدثات الأمور، والمراد بها المحدثات في الدين، وأما ما يحدث في الدنيا فينظر فيه إذا كان فيه مصلحة فلا تحذير منه، أما ما يحصل في الدين فإنه يجب الحذر منه؛ لما فيه من التفرق في دين الله والتشتت وتضييع الأمة بعضها بعضاً.

ومن فوائد الحديث: أن كل بدعة ضلالة، وأنه ليس في البدع ما هو مستحسن كما زعمه بعض العلماء، بل كل البدع ضلالة، فمن ظن أن بدعة من البدع حسنة فإنها لا تخلو من أحد أمرين: إما أنها ليست بدعة وظن هو أنها بدعة، وإما أنها ليست حسنة وظن هو أنها حسنة، وأما أن تكون بدعة وحسنة فهذا مستحيل، لقول النبي ﷺ «**فإن كل بدعة ضلالة**».

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

ساقط من الأصل

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى قال: مَنْ عادَى لِي وَلِيًا فقدْ آذَنْتُهُ بالحرب، وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشيء أحب إليَّ مما افْتَرضْتُهُ عَليه. ولا يزالُ عبدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُه كُنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَه الذي يبصرُ به، ويَدَهُ التي يَبْطشُ بها، ورجْله التي يمشي بها، ولئنْ سألني لأُعْطِيَنَّه، ولئن استَعاذَني لأُعيذَنَّهُ**»[1]. رواه البخاري.

قوله عن ربه تعالى: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**» المراد هنا بالولي المؤمن، قال الله تعالى: ﴿الله وليُّ الَّذينَ آمَنُوا﴾ (البقرة:٢٥٧)، فمن آذى مؤمناً فقد آذنه الله -أي أعلمه الله- أنه محارب له، والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه، فليحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم.

تعليق الشيخ العثيمين:

قوله: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**» هذا الحديث حديث قدسي؛ لأن النبي ﷺ رواه عن ربه، وكل حديث رواه النبي ﷺ عن ربه يسمى عند العلماء حديثاً قدسياً.

المعاداة ضد الموالاة، والولي ضد العدو، وأولياؤه سبحانه وتعالى هم المؤمنون المتقون، ودليله قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. وقوله: «**آذنته**» يعني: أعلمته، أي: أنني أعلنت عليه الحرب، فيكون من عادى ولياً من أولياء الله فقد آذن الله تعالى بالحرب وصار حرباً لله، ثم ذكر تبارك وتعالى أسباب الولاية، فقال: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه**»، يعني: ما عبدني أحد بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه؛ لأن العبادة

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢)، وصححه ابن حبان (٣٤٧) «الإحسان»، ورواه أبو نعيم (١/ ٤) في «الحلية»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص (٤٩١)، والبغوي (٥/ ١٩). وهذا الحديث كثر الكلام حوله حتى قال الذهبي فيه: هذا حديث غريب جداً. انظر «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله حديث (١٦٤٠).

قوله تعالى: «**وما تقرب إليَّ عبدى بشىء أحب إليَّ مما افترضته عليه**» فيه دليل على أن فعل الفريضة أفضل من النوافل، وجاء فى الحديث أن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة.

قوله تعالى: «**ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**» ضرب العلماء -رضى الله تعالى عنهم- لذلك مثلاً فقالوا: مثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره كمثل رجل أعطى لأحد عبديه درهماً ليشترى به فاكهة وأعطى الآخر درهماً ليشترى فاكهة، فذهب أحد العبدين فاشترى فاكهة، فوضعها فى قوصرة وطرح عليها ريحاناً ومشموماً من عنده، ثم جاء فوضعها بين يدى السيد، وذهب الآخر واشترى الفاكهة فى حجره ثم جاء فوضعها بين

تقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى، فمثلاً ركعتان من الفريضة أحب إلى الله من ركعتين نفلاً، ودرهم من زكاة أحب إلى الله من درهم من صدقة، حج فريضة أحب إلى الله من حج تطوع، صوم رمضان أحب إلى الله من صوم تطوع، وهلمَّ جرًا، ولهذا جعل الله تعالى الفرائض لازمة فى العبادة مما يدل على آكديتها ومحبته لها، «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل**» يعنى: والفرائض. والفعل «**لا يزال**» يدل على الاستمرار، يعني: ويستمر «**عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل**» يعني: بعد الفرائض «**حتى أحبه**»، «**حتى**» تحتمل هنا الغاية وتحتمل التعليل، فعلى الأول يكون المعنى: أن تقرُّبه إلى الله يوصله إلى محبة الله، وعلى الثانى يكون المعنى: لا يزال يتقرب إليَّ بالنوافل ويكون هذا التقرب سبباً لمحبته. والغاية واحدة، «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**» أي: سدَّدته فى كل ما يسمع، فلا يسمع إلا ما فيه الخير له، وليس المعنى أن الله سَمْع الإنسان؛ لأن سَمْعَ الإنسان هى صفةٌ من صفاته -أي: صفات الإنسان-، مُحْدَثٌ بعد أن لم يكن، وهو صفة فيه -أي: فى الإنسان-، وكذلك يقال فى «**بصره الذى يبصر به**» أى: أن الله يُسدِّده فيما يرى، فلا يرى إلا ما كان فيه خير، ولا ينظر إلا إلى ما كان فيه خير، «**ويده التي يبطش بها**» يقال فيها ما سبق فى السمع، أي: أن الله تعالى يسدده فى بطشه وعمله بيده، فلا يعمل إلا ما فيه الخير. «**ورجله التي يمشى بها**» أي:

يدى السيد على الأرض، فكل واحد من العبدين قد امتثل، ولكن أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم، فيصير أحب إلى السيد، فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله. والمحبة من الله إرادة الخير، فإذا أحب عبده شغله بذكره وطاعته، وحَفَظه من الشيطان، واستعمل أعضاءه فى الطاعة، وحبب إليه سماع القرآن والذكر وكره إليه سماع الغناء وآلات اللهو، وصار من الذين قال الله تعالى فى حقهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص:٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (الفرقان:٦٣)، فإذا سمعوا منهم كلاماً فاحشاً أضربوا عنه، وقالوا قولاً لا يسلمون فيه، وحفظ بصره عن المحارم، فلا ينظر إلى ما لا يحل له، وصار نظره نظر فكر واعتبار، فلا يرى شيئاً من المصنوعات

يسدده أيضاً فى مشيه، فلا يمشى إلا إلى الخير. **«ولئن سألني»** أى: دعانى بشىء وطلب منى شيئاً لأعطينه. **«ولئن استعاذني لأعيذنه»** فذكر السؤال الذى به حصول المطلوب، والاستعاذة التى بها النجاة من المرهوب، وأخبر أنه سبحانه وتعالى يعطى هذا المتقرب إليه بالنوافل، يعطيه ما سأل، ويعيذه مما استعاذ.

في هذا الحديث فوائد: أولاً: إثبات الولاية لله عز وجل، أي: أن لله تعالى أولياء، وهذا قد دل عليه القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

ومن فوائده: كرامة الأولياء على الله، حيث كان الذى يعاديهم قد آذن الله بالحرب.

ومن فوائده: أن معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب؛ لأن الله جعل ذلك إيذاناً بالحرب.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الفريضة أحب إلى الله من النافلة؛ لقوله: **«وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه»**.

ومن فوائد هذا الحديث: الإشارة إلى أن أوامر الله عز وجل نوعان: فرائض ونوافل.

إلا استدل به على خالقه، وقال عليّ ﷺ: مـا رأيت شيئاً إلا ورأيت الله تعالى قبله. ومعنى الاعتـبار: العبور بالفكر فى المخلوقات إلى قدرة الخـالق، فيسبِّح عند ذلك ويقدِّس ويعظِّم، وتصير حركـاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى، ولا يمشى فيمـا لا يعنيه، ولا يفعل بيده شيـئاً عبثاً، بل تكون حركـاته وسكناته لله تعالى، فيثاب على ذلك فى حركاته وسكناته وفى سائر أفعاله.

قوله تعالى: «كنت سمعه» يحتمل كـنت الحافظ لسمعه ولبـصره ولبطش يده ورِجْله من الشيـطان، ويحتمل كنت فى قلبـه عند سمـعه وبصره وبطشـه، فإذا ذكرنى كفَّ عن العمل لغيري.

ومن فوائد هذا الحديث: إثبات المحبة لله عز وجل؛ لقوله: «**أحب إليَّ مما افترضته عليه**»، والمحبـة صفة قائمـة بذات الله سبحانه وتـعالى، ومن ثمراتها الإحـسان إلى المحبوب وثوابه وقربه من الله عز وجل.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الأعمال تتفاضل هى بنفسها.

ومن فوائد هـذا الحديث: الدلالة على مـا ذهب إليه أهل السنة والجـماعـة من أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأن الأعمال من الإيمان، فـإذا كانت تتفاضل فى محـبة الله لها يلزم من هذا أن الإيمان يزيد وينقص بحسب تفاضلها.

ومن فوائد هذا الحديث: أن فى محبة الله عز وجل تسديد العـبد فى سمعه وبصره ويده ورجله، مؤيداً من الله عز وجل.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه كلما ازداد الإنسـان تقرباً إلى الله بالأعمال الصـالحة، فـإن ذلك أقرب إلى إجـابة دعائه وإعـاذته مما يستـعيـذ بالله مـنه؛ لقوله تعـالى فى الحديث: «**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**».

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله تجاوزَ لي عن أمتي الخَطأَ والنِّسيانَ وما استُكرِهُوا عليه**»[1]. حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

قوله: «**تجاوز**» بمعنى: عفا، «**الخطأ**» فعل الشيء عن غير قصد. «**النسيان**» ذهول القلب عن شيء معلوم، والاستكراه إلجاء الإنسان، وهذه ثلاثة أشياء بيَّن فيها النبي ﷺ: أن الله تجاوز عن أمته هذه الأشياء الثلاثة، وقد دل على ذلك القرآن، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، فقال الله: «**قد فعلت**»، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فيستفاد من هذا الحديث فوائد: منها: سعة رحمة الله عز وجل، وأن رحمته سبقت غضبه، **ومنها:** أن الإنسان إذا فعل الشيء خطأ فإنه لا يؤاخذ عليه، ولكن إن كان محرَّماً فإنه لا يترتب عليه إثم ولا كفارة ولا فساد عبادة وقع فيها، وأما إن كان ترك واجب فإنه يرتفع عنه الإثم، ولكن لابد من تداركُ الواجب.

ومن فوائد هذا الحديث: أن من أُكره على شيء قولي أو فعلي؛ فإنه لا يؤاخذ به؛ لقوله: «**وما استكرهوا عليه**»، وهذا عام سواء كان الإكراه على فعل أو على قول، ولا دليل لمن فرَّق بين الإكراه على الفعل والإكراه على القول، لكن إذا كان الإكراه في حق آدمي فإنه يُعامل بما تقتضيه الأدلة الشرعية، مثل: أن يُكره شخصاً على قتل

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وصححه ابن حبان (٧٢١٩) «الإحسان»، والحاكم (٢/١٩٨)، ووافقه الذهبي. ورواه الدارقطني (٤/ ١٧٠)، والطبراني في «الصغير» (٧٦٥)، والبيهقي (٧/٣٥٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٢)، وانظر «تلخيص الحبير» (١/ ٢٨١).

قوله ﷺ : **«إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»** أي تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع، فلو أتلف شيئاً خطأ أو ضاعت منه الوديعة نسياناً ضمن، ويستثنى من الإكراه: الإكراه على الزنا والقتل، فلا يباحان بالإكراه، ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه، فإنه يأثم بفعله لتقصيره، وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة، جَمعتُ فيها مصنفاً لا يحتمله هذا الكتاب.

شخص آخر فإنه يقتل المُكرِه والمُكرَه؛ لأن الإكراه لا يبيح قتل الغير، ولا يمكن ولا يجوز للإنسان أن يستبقي حياته بإتلاف غيره.

الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَرِيبٌ أو عابِرُ سَبِيلٍ**»[1]. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» رواه البخاري.

قوله ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» أي: لا تركن إليها، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه الذي يريد الذهاب منه إلى أهله. وهذا معنى قول سلمان الفارسي رضي الله عنه: أمرني خليلي ﷺ ألا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.

ومما قيل في الزهد في الدنيا:

أتبني بناء الخالدين وإنما * مقامك فيها لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الأراك كفاية * لمن كان فيها يعتريه رحيل

تعليق الشيخ العثيمين رحمه الله:

الحديث الأربعون عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول **الله** ﷺ بمنكبي» يعني: أمسك بهما لأجل أن يسترعي انتباهه ليحفظ ما يقول، فقال له: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» الغريب هو: المقيم في البلد وليس من أهلها «أو عابر سبيل»: هو الذي مر بالبلد، وهو ماشٍ مسافر، ومثل هؤلاء - أعني الغريب أو عابر السبيل- لا يتخذ هذا البلد موطناً ومستقراً، لأنه مسافر، فأخذتْ هذه الموعظة من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما أخذتْ من قلبه، ولهذا كان يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء» يعني: إذا أمسيت فلا تقول: سوف أبقى إلى الصباح، كم من إنسان أمسى ولم يصبح، وكذلك قوله: «وإذا أصبحت

---

(1) رواه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤)، وأحمد (٢/ ٢٤، ١٣٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٨٥)، وأبو نعيم (٣/ ٣٠١)، والبيهقي (٣/ ٣٦٩).

ومما قيل فى الزهد فى الدنيا:

ترجو البقاء بدار لا بقاء لها * وهل سمعت بظل غير منتقل

وقال آخر:

سجنت بها وأنت لها محب * فكيف تحب ما فيه سُجِنْتَا

فلا تلهو بدار أنت فيها * تفارق منك يومًا ما لهوتا

وتطعمك الطعام وعن قريب * ستطعم منك ما منها طعمتا

وفى الحديث دليل على قصر الأمل، وتقديم التوبة، والاستعداد للموت، فإنْ أمل فليقل: إن شاء الله تعالى، ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف: ٢٣).

وقوله: «وخذ من صحتك» أمرهﷺ أن يغتنم أوقات الصحة بالعمل الصالح فيها، فإنه قد يعجز عن الصيام والقيام ونحوهما لعلة تحصل من المرض والكبر.

فلا تنتظر المساء» فكم من إنسان أصبح ولم يُمْسِ، ومراد ابن عمر فى ذلك: أن ينتهز الإنسان الفرصة للعمل الصالح حتى لا تضيع عليه الدنيا وهو لا يشعر، قال: «وخذ من صحتك لمرضك» يعني: بادر فى الصحة قبل المرض، فإن الإنسان ما دام صحيحاً يسهل عليه العمل؛ لأنه صحيح منشرح الصدر منبسط النفس، والمريض يضيق صدره ولا تنبسط نفسه، فلا يسهل عليه العمل.

«ومن حياتك لموتك» أى: انتهز الحياة ما دمت حياً قبل أن تموت؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله، صح ذلك عن النبيﷺ حيث قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍصالح يدعو له**».

ومن فوائد هذا الحديث: أنه ينبغى للإنسان ألا يجعل الدنيا مقر إقامة؛ لقوله: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**».

ومن فوائده: أنه ينبغى للعاقل ما دام باقياً، والصحة متوفرة: أن يحرص على العمل قبل أن يموت فينقطع عمله، **ومنها**: أنه ينبغى للمعلم أن يفعل الأسباب التى يكون فيها انتباه المخاطب؛ لأن النبيﷺ أخذ بمنكبى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقوله: «ومن حياتك لموتك» أمره ﷺ بتقديم الزاد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر:١٨) ولا يفرط فيها حتى يدركه الموت، فيقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠٠).

وقال الغزالى رحمه الله تعالى: ابن آدم بدنه معه كالشبكة يكتسب بها الأعمال الصالحة، فإذا اكتسب خيراً ثم مات كفاه، ولم يحتج بعد ذلك إلى الشبكة وهو البدن الذى فارقه بالموت. ولا شك أن الإنسان إذا مات انقطعت شهوته من الدنيا، واشتهت نفسه العمل الصالح؛ لأنه زاد القبر، فإن كان معه استغنى به، وإن لم يكن معه طلب الرجوع منها إلى الدنيا ليأخذ منها الزاد، وذلك بعد أن أخذت منه الشبكة.

فيقال له: هيهات، قد فات. فيبقى متحيراً دائماً، نادماً على تفريطه فى أخذ الزاد قبل انتزاع الشبكة، فلهذا قال رسول الله ﷺ: «وخذ من حياتك لموتك»، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ومن فوائد الحديث: فضيلة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حيث تأثر بهذه الموعظة من رسول الله ﷺ.

الحديث الحادي والأربعون

عن أبي محمد عبد الله بن عـمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكم حَتَّى يكونَ هواهُ تبعًا لِما جِئْتُ به**»[1]. حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبـعاً لما جئت به**» يعنى أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتـاب والسنة، ويخالف هواه، ويتبع ما جاء به ﷺ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب:٣٦) فليس لأحد مع الله عز وجل ورسوله ﷺ أمر ولا هوى. وعن إبراهيم بن مـحمد الكوفى قال: رأيت الشافـعى بمكة يفتى الناس، ورأيت إسـحاق بن راهويه وأحـمد بن حنبل حـاضرين، فـقال أحـمد لإسحـاق: تعالَ حتى أريك رجـلاً لم تر عيناك مـثله، فقال له إسـحاق: لم تر عيناى مثله؟ قال: نعم! فجاء به فوقفـه على الشافعى، فذكر القصة إلى أن قال: ثم تقـدم إسحـاق إلى مجلس الشـافعـي، فسـأله عن كراء بيـوت مكة، فقـال

تعليق الشيخ العثيمين:

قـوله: «**لا يؤمن**» أي: لا يؤمن الإيمـان الكامل، ولـيس المراد به نـفس الإيمان بالكلية، وقوله: «**حتى يكون هواه**» أى ميله وإرادته، «**تبعاً لما جئت به**» أي: لما جاء به من الشرع، فـلا يلتفت إلى غـيره، قـال المؤلف: حديث صـحيح رويناه فى كـتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

في هذا الحديث فـوائد منها: أن الإيمان قد ينفى عـمن قصَّر فى بعض واجـبه فى قوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»، وهذا موقوف على ما ورد به الشرع، فليس للإنسان أن ينـفى الإيمان عن الشخص بمجرد أنه رآه على معصـية حتى يثبت بذلك دليل شرعي.

---

(١) **إسناده ضعـيف**: رواه ابن أبى عـاصم فى «السنة» (١٥)، والخطيب فى «تاريخ بغـداد» (٤/٣٦٩)، وضعف إسناده الألباني.

الشافعي: هذا عندنا جائز. قال رسول الله ﷺ: «**فهل ترك لنا عقيل من دار؟**»[1] فقال إسحاق: أخبرنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وعطاء وطاوس لم يكونا يريان ذلك. فقال له الشافعي: أنت الذى تزعم أهل خراسان أنك فقيههم! قال إسحاق: كذا يزعمون، قال الشافعي: ما أحوجنى أن يكون غيرك فى موضعك فكنت آمر بعَرْكِ أذنيه. أنا أقول: قال رسول الله ﷺ، وأنت تقول: قال عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم هؤلاء لا يرون ذلك! وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟ ثم قال الشافعي: قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ (الحشر: ٨) أفتنسب الديار إلى مالكين أو غير مالكين؟ قال إسحاق: إلى مالكين، قال الشافعي: فقول الله تعالى أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن**»[2]. وقد اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار الحجلتين، وذكر الشافعى جماعات من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال له إسحاق: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج: ٢٥)، فقال له الشافعي: المراد به المسجد خاصة، وهو الذى حول الكعبة. ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز لأحد أن ينشد فى دور مكة ضالة، ولا تحبس فيها البدن، ولا تلقى الأرواث، ولكن هذا فى المسجد خاصة. فسكت إسحاق ولم يتكلم. فسكت الشافعى عنه.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب الانقياد لما جاء به النبي ﷺ.

ومن فوائده: أنه يجب تخلِّى الإنسان عن هواه المخالف لشريعة الله.

ومن فوائده: أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) رواه البخارى (١٥٨٨، ٣٠٥٨، ٤٢٨٢)، ومسلم (١٣٥١)، وأبو داود (٢٩١٠)، وابن ماجه (٢٧٣٠، ٢٩٤٢)، وأحمد (٥/ ٢٠١، ٢٠٢)، والحاكم (٢/ ٦٠٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٠٢١)(٣٠٢٢)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٥/ ٣١، ٣٢).

الحديث الثاني والأربعون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابْنَ آدَم إنَّك ما دَعَوْتَنى ورَجَوْتَنى غَـفرتُ لَكَ على ما كان منْكَ ولا أبالي، يا بْنَ آدَم لو بَلغَتْ ذُنوبُكَ عَنانَ السَّماء ثمَّ استَغَفَـرتْنى غفرتُ لَكَ، يا بْنَ آدَم لو أتَيْتَنى بقُراب الأرضِ خطَايا ثمَّ لقِيتنى لا تُشْـرِكُ بى شيَئاً لأتَيْتُكَ بِقُرابِهـا مَغْفِرَة**»[1]. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

تعليق الشيخ العثيمين رحمه الله:

هذا من الأحاديث القدسـية التى يرويها النبي ﷺ عن ربه أنه قال جل وعلا: «**يا ابن آدم**» الخطاب لجميع بنى آدم، «**إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك**»، «**ما**» شرطية يعني: متى دعوتنى ورجـوتني. «**دعوتني**» أى: سألتنى أن أغـفر لك، «**رجوتني**» رجوت مغـفرتى ولم تيأس، «**غفرت لك**» هذا جواب الشـرط. والمغفرة سـتر الذنب والتجـاوز عنه، أى: أن الله يستـر ذنبك عن الناس، ويتجـاوز عنك، فلا يعـاقبك، وقوله: «**على ما كـان منك ولا أبالي**» يعني: على مـا كان منك من المعـاصى، وهذا يشهد له قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

«**يا بن آدم لو بـلغت ذنوبك عنان السـمـاء**» يعني: لو بلغت أعـلى السمـاء، «**ثم استغفـرتني غفرت لك**» يعني: مهما عظمت الذنوب حتـى لو وصلت السماء بكثرتها ثم استغفرت الله بصدق وإخلاص وافتقار غفر الله لك.

«**يا بن آدم إنك لو أتيتني بقـراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيـئاً؛ لأتيتك بقرابهـا مغـفرة**» (قرابهـا) يعني: قرب ملئهـا، إذا لقى الإنسان ربه عـز وجل بقراب

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقـال: حسن غريب. وصحـحه الشيخ الألبانى رحـمه الله، انظر «الصحـيحة» (١٢٧)، وفى الباب عن أبى ذر: رواه أحمد (٥/ ١٧٢)، والدارمي(٢/ ٣٢٢).

قوله تعالى: «**عنان السماء**» هو بفتح العين المهملة. قيل: هو السحاب، وقيل: ما عنَّ لك منها -أى ظهر- إذا رفعت رأسك.

قوله تعالى: «**ثم استغفرتنى غفرت لك**» هو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠)، والاستغفار لابد أن يكون مقرونًا بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود: ٣)، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

واعلم: أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين، وقد يكون عن تقصير فى أداء الشكر وهو استغفار الأولياء والصالحين، وقد لا يكون لا عن واحد منهما، بل يكون شكراً، وهو استغفارهﷺ واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قالﷺ : «**سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا**

الأرض أى: ملئها أو قربه خطايا لكنها دون الشرك، ولهذا قال: «**ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**» وهذا يدل على فضيلة الإخلاص وأنه سبب لمغفرة الذنوب.

في هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان مهما دعا الله بأى شىء، ورجا الله فى أى شىء؛ إلا غفر له.

ومن فوائده: بيان سعة فضل الله عز وجل.

ومن فوائده: أن الذنوب -وإن عظمت- إذا استغفر الإنسان ربه منها؛ غفرها الله له.

ومن فوائد هذا الحديث: فضيلة الإخلاص وأنه سبب لمغفرة الذنوب، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، فنسأل الله تعالى أن يعمنا جميعاً بمغفرته ورضوانه، وأن يهب لنا منه رحمة؛ إنه هو الوهاب.

أنت»[١]. وقال ﷺ لأبى بكر رضي الله عنه: **«قل: اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً** -وفى رواية: كبيراً- **ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم»**[٢].

وهذا آخر ما يسَّر الله الكريم على سبيل الاختصار

والحمد لله رب العالمين

وإلى هنا انتهى شرح هذه «الأربعين النووية المباركة» التى نحث كل طالب علم على حفظها، وفهم معناها، والعمل بمقتضاها، والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخارى (٦٣٠٦، ٦٣٢٣)، والترمذي (٣٣٩٣)، والنسائي (٨/ ٢٧٩-٢٨٠)، وأحمد (٤/ ١٢٢، ١٢٤-١٢٥)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه البخارى (٨٣٤، ٣٦٢٦، ٧٣٨٧، ٧٣٨٨)، ومسلم (٢٧٠٥)، والترمذي (٣٥٣١)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وابن ماجه (٣٨٣٥)، وأحمد (١/ ٤، ٧)، والبيهقي (٢/ ١٥٤).



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

